تأثير الإسلام في الحياة الاجتماعية في بلاد الهوسا خلال القرن الثامن عشر الميلادي

أ. عمر حمد محمود [١]

أ. د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم[٢] أ.د/أحمد عبدالدايم محمد[٣]

مُلخص:

عم الاسلام شمال أفريقيا منذ منتصف القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي , وامتد أثره إلى معظم دول غرب ووسط أفريقيا إلى ما يعرف الآن بنيجيريا – النيجر – الكاميرون – أفريقيا الوسطى – تشاد وما إلى ذلك. ويثبت التاريخ أن الضفتان الشمالية والجنوبية للصحراء الكبرى قد شاركتا في التواصل حضارياً عبر عصور طويلة, شمل مجالات سياسية وتجارية وثقافية. وساهمت قبائل الهوسا بشكل كبير في نقل مختلف المؤثرات الفكرية والاجتماعية عبر الصحراء إلى منطقة السودان الغربي وما إليها. وتحاول الدراسة تقديم موجز لتأثير الإسلام وحضارته في مجتمع الهوسا في القرن الثامن عشر الميلادي, حيث تطرقنا إلى موطنهم وسبب تسميتهم ولغتهم ثم تناولنا كيفية دخولهم في الإسلام وتأثيره في حياتهم الاجتماعية الخاصة والعامة من عادات وتقاليد في الطعام والملبس والزواج.

Abstract:

The Islam effects in the Hausa social life in the Eighteenth Century A.D.

Islam prevailed north Africa and Islam extended to most of middle and west states of Africa as currently known as Nigeria, Niger, Cameron, Central Africa Republic, Chad ete. And history proves that the northern and southern Sahara desert shores of continuity civilization over long periods, including political, commercial, and cultural areas. and the Hausa tribes contributed significantly to the various intellectual and social effects across the Sahara Desert transfer. The study attempts to provide a summary of the Islam effects in the Hausa social life in the Eighteenth Century A.D, i.e. their food, fashion, marriage tradition. I shed light on their origin country, the reason for their nomination, and their language.

---

(١) باحث بقسم التاريخ – كلية الدراسات الإفريقية العليا – جامعة القاهرة.

(٢) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الدراسات الإفريقية العليا – جامعة القاهرة.

(٣) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الدراسات الإفريقية العليا – جامعة القاهرة.

مقدمة:

تعد دراسة تأثير الثقافة العربية الإسلامية على الحياة الاجتماعية في مجتمع بلاد الهوسا بالسودان الغربي أحد أهم المواضيع التي تسترعى اهتمام الباحثين والمهتمين بالشأن الإفريقي, خصوصاً منذ بدايات الاتصال الحضاري والامتزاج السلالي لمنطقة بلاد الهوسا بالحضارة الإسلامية, حيث كان له عميق الأثر في قبائل بلاد الهوسا وشعوبها وتراثها الثقافي منذ أقدم العصور.

رغم أن دخول الإسلام إلى بلاد الهوسا لم نعرف بالتحديد وقت فعلياً, غير أن المشهور وهو أن أهلها دخلوا في الإسلام مبكراً, إلا أنه حتى القرن الثامن عشر الميلادي كان السكان لا يزالون يمارسون طقوساً وعادات وثنية والمستوحاة من التراث الثقافي الأفريقي المحلي, في ظل واقع اجتماعي كان قد اتسم بالتعددية العرقية. إلا أن التأثير والتفاعل تدريجياً بين الثقافة العربية الإسلامية الوافدة من الخارج وبين الثقافة المقيمة أو الأصلية مما كان له أثره الواضح في تغير عادات وتقاليد في مجالات شتى نواحي الحياة الاجتماعية الخاصة والعامة من ناحية الشكل والمحتوى.

وعليه, أصبحت الدراسة مطلباً بحثياً للتعرف على مدى تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الحياة الاجتماعية والثقافية ببلاد الهوسا خلال القرن الثامن عشر الميلادي.

من هذا المنطلق تأتي **أهمية اختياري هذا الموضوع** وخاصة الفترة الزمنية القرن الثامن عشر الميلادي, حيث شهدت –بلاد الهوسا– المنطقة خلالها مؤثرات حضارة إسلامية مكثفة, منها توظيف الدين لأغراض متعددة من ناحية, ومن جهة أخرى زوال واضمحلال بعض العادات والتقاليد المتوارثة محلياً. لهذا أن دراسة تأثير الإسلام في بلاد الهوسا والمتغيرات الهامة في مظاهر الحياة الاجتماعية الخاصة والعامة المختلفة من الموضوعات الهامة, التي تحتاج مزيداً من البحث والاستقصاء والتحليل, خاصاً خلال القرن الثامن عشر الميلادي لم يتطرق إليه أحد.

وتستهدف الدراسة: رصد مظاهر المتغيرات الاجتماعية ببلاد الهوسا, قد كانت الأديان المحلية والمعتقدات البدائية كعبادة الأصنام والتماثيل المنحوتة من الخشب والطين منتشرة في بلاد الهوسا, وكان منهم من يعبد الرعد والبرق والنار وبعض الأنهار والأشجار كما كانت توجد الطوطمية في بعض النواحي, وعبادة أرواح الأجداد والتماسيح والثعابين وغيرها. وبينما كانت بلاد الهوسا تعيش في هذه الحالات, إذ بفضل انتشار الإسلام وثقافته متسللاً تدريجياً

وسلمياً منذ امد بعيد؛ تغيرت عادات وتقاليد وثنية كانت السمة الغالبة في الحياة الاجتماعية الخاصة والعامة في المجتمع الهوساوي, وأصبحت الثقافة العربية الإسلامية لها دور مؤثر في تحقيق التنمية والتطور في المجتمع الهوساوي في القرن الثامن عشر الميلادي.

ولذا تطرح الدراسة **سؤلاً بحثياً رئيساً هو** ما مدى تأثير الإسلام في مظاهر الحياة الاجتماعية الخاصة والعامة لدى جماعات الهوسا ؟ وما هو أصل سكان الهوسا ؟ وما هي مظاهر تراثهم الثقافي الأفريقي المحلي ومعتقداهم الروحية, بمظاهرها وعادتها وتقاليدها الوثنية ؟ وما هي الوسائل التي مهدت الطريق لتغلغل الإسلام وحضارته العربية في بلاد الهوسا ؟ أن الاجابة عن هذه الأسئلة تفيد في الوصول إلى أي مدى كان تأثير الإسلام وحضارته في الحياة الاجتماعية في بلاد الهوسا .

وفيما يتعلق بمصادر الدراسة: فقد اعتمدنا على مصادر أصلية نذكر بعض منها, تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان, والذي ينسبه العديد من المؤرخين والكتاب لمؤلف مجهول, بالإضافة إلى حوليات كانو, وكذلك كتاب إنفاق الميسور في أخبار تاريخ بلاد التكرور: من مؤلفات محمد بللو ابن عثمان فودي, وهذا الكتاب من مصادر التاريخ المحلي لهذه منطقة السودان الغربي, خاصة منطقة الهوسا, حيث أفادنا في أخبار شعوب بلاد الهوسا. كما اعتمدت على بعض الكتب, منها كتاب حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وأثارها الحضارية للباحث مهدي رزق أحمد عوض, حيث تطرق الكتاب إلى حركة التجارة وانتشار الإسلام في منطقة السودان الغربي عامة وبلاد الهوسا خاصة, التي كان لها مساهمة في توطيد الصلات الثقافية بين الشمال الأفريقي ودول جنوب الصحراء. وأيضاً كتاب قبائل الهوسا دراسة وثائقية, للمؤلف الهادي المبروك الدالي, أفادنا بمعلومات قيمة عن أحوال جماعات الهوسا وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والثقافية وأهم علمائهم. كذلك اعتمدنا على بعض كتب الرحالة العرب والأجانب نذكر منها كتاب رحلة لاستكشاف أفريقيا, جـــ١, جـــ٢, تأليف: الميجور/ دنهام والكابتن/ كلابرتون والرحالة أودنى, ترجمة: عبد الله عبد الرازق إبراهيم, أفادنا كثيراً بالمعلومات عن أحوال المنطقة من عادات وتقاليد وغيرها, اثناء رحلتهم من سلطنة بورنو شرقاً صوب نهر النيجر غرباً, مروراً بإمارات الهوسا, بالإضافة إلى المؤلفات الأخرى كتبها زوار هذه المنطقة من الرحالة العرب والاجانب وغيرهم. بالإضافة إلى مؤلفات المؤرخين السودانيين منهم: الشيخ "آدم عبد الله الإلوري" مؤلف كتاب الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفولاني, كما اعتمدنا على

المؤلفات والمقالات الحديثة العربية والمعربة والأجنبية, على سبيل المثال: كتاب الدعوة إلى الإسلام, ترجمة حسن إبراهيم, للمؤلف: توماس ارنولد. ولقد حاولت قدر الإمكان الاستفادة من هذه الكتب كلها في موضوع الدراسة. وقد أوردنا ثبتا بها في نهاية هذه الدراسة.

ثم قسمنا الدراسة إلى أربع مباحث :

أفردنا **المبحث الأول** وعنوانه بلاد الهوسا لدراسة الموقع الجغرافي وسكان بلاد الهوسا, من حيث الموقع الجغرافي لبلاد الهوسا , وأصل الهوسا , وإمارتهم السبع الأصلية .

وأما **المبحث الثاني** فبعنوان" العوامل المؤثرة في انتشار الإسلام في بلاد الهوسا " عرضنا فيها دور شبكة الطرق القديمة في تسهيل تدفق الهجرات منها, والتي سلكها التجار العرب والأفارقة, وكانت مفضلة لرحلات الحجاج واتخاذ مصر محطة لهم للاستراحة وتحصيل العلم والإجازات العلمية. بالإضافة إلى دور الطرق الصوفية وغيرها في نشر الإسلام وثقافته.

وتناولنا في **المبحث الثالث** " تأثير الإسلام في العادات والتقاليد في المجتمع الهوساوي " من حيث العادات والتقاليد, في الحياة الاجتماعية الخاصة والعامة من المسكن والمآكل والمشرب والملبس والطلاق ومراسم الموت (الوفاة) ودفن الموتى .

تناولنا في **المبحث الرابع** " الاحتفالات في المناسبات الخاصة والعامة لدى قبائل الهوسا " في حفلات الزواج , وتسمية المولود, ووسائل التسلية .

وأنهينا الدراسة بخاتمة أوضحنا فيها نتائج هذه الدراسة , قائمة مصادر ومراجع البحث ,الخرائط.

المبحث الأول: بلاد الهوسا:

بلاد الهوسا تتصل اتصالاً طبيعياً بالصحراء الكبرى, والطبيعة حددت وسيلة هذا الاتصال وطريقته, هذه الصحراء التي لا تتصل بساحل المحيط الأطلسي اتصالاً مباشراً, ولكنها تترك سهلاً ساحلياً يجعل الاتصال عبره ممكناً بين الشمال والجنوب. عبر هذه الطرق, اتصل الهوسا بالسهل الخصيب, الواقع جنوب الصحراء الكبرى اتصالاً قديما متصلا, وكانت التجارات لا تفتأ تتبادل بين شمالها وجنوبها هذه التجارة التي كان لها شأن كبير في غرب أفريقيا, وكانت الأوطان الزنجية في حاجة ملحة ومستمرة إلى المنتجات الواردة من الشمال الأفريقي. وكان تجار قبائل الهوسا التي استفادت من أهمية الطرق التجارية (١) ؛ مما جعل منطقة بلاد الهوسا أرضا خصباً قابلة للحياة والاستيطان بفضل موقعها.

١- الموقع الجغرافي:

تقع بلدان هوسا في شمال نيجيريا وجنوب جمهورية نيجر(Niger), وتحدها بلاد بورنو في الشرق إلى الضفة الغربية لنهر النيجر, والصحراء الكبرى في الشمال, ونهر بنيوي (River Benue) في الجنوب [٢], بين خطى عرض ١٠،٢٥ درجة و ١٣،٥ درجة شمالا, وبين خطى طول ٤ درجات و ١٠ دراجات شرقاً [٣]. وهو الحيز الذي سكنه الهوسا في

---

(١) حسن احمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا, مصر, ١٩٦٣م, ص١٩٠.

(٢) محمد عبد الغني سعودي: أفريقية " شخصية القارة في شخصية الأقاليم", مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, ١٩٩٧م, ص٢٢٧., رحمة بنت أحمد عثمان, ومحمد جامع عبدالله: الخصائص العامة للشعر العربي في ولايتي هوسا ويوربا, نظرات مقارنة, بحوث ودراسات, التجديد, المجلد١٩, العدد٣٧, الجامعة الإسلامية العالمية, ماليزيا, ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م, ص١١٣.

(٣) حسين سيد عبد الله مراد: دولة كانو الإسلامية " تطورها السياسي والحضاري حتى نهاية القرن٩هـ/١٥م", العدد٤٧, مجلة الدراسات الإفريقية, معهد البحوث والدراسات الإفريقية, جامعة القاهرة, ١٩٩٧م, ص٥. وأنظر, دائرة المعارف, تعريب إبراهيم ذكي خورشيد, مادة حوصا, القاهرة (د/ت), ص١٤٤. , كذلك أنظر, بوبكي سكينة: الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي خلال القرن١٩م, رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية, قسم الحضارة الإسلامية, كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية, الجزائر, ٢٠٠٩-٢٠١٠م , ص ص٢-٣. , للمزيد من التفاصيل انظر:

Polly Hill; Rural Hausa a Village and a setting, Cambridge, U.N.V, London, 1972, p.1. ,

منطقة تمتد من جبل الهواء في النيجر شمالاً, حتى السفح الجنوبي لهضبة جوس JOS في وسط نيجيريا جنوباً, ومن حد مملكة بورنو (Borno) القديمة وبحيرة تشاد شرقاً حتى وادي النيجر غرباً (١).

وقد جاء في كتاب إنفاق الميسور أن بلاد الهوسا تضم كل الأراضي الممتدة ما بين بحيرة تشاد ونهر النيجر وما ولاها من بلاد بوشي شمال نهر بنوي في نيجيريا الحالية (٢).

٢- التضاريس:

أما عن جغرافية السطح في بلاد الهوسا عبارة عن هضبة متموجة السطح يبلغ متوسط ارتفاعها بين الف وخمسمائة إلى الفي قدم فوق سطح البحر وهي ثرية بالسهول الخصبة والتلال والأودية والرمال والانهار والذرع والاشجار, وتدخل في سياق منطقة السافانا الشمالية, وهي تقع بين سلطنة بورنو في الشرق وصنغي بالنيجر الأوسط غرباً, والصحراء

Anne Haour & Benedetta Rossi; Begin and Becoming Hausa, "Interdisciplinary Perspectives "African Social Studies Series,Vol.23, Cambridge, London, 1964, p. 2. ,

Abdullahai Smith; Some Considerations relating to the formation of States in Hausa Land, Journal of the Historical Society of Nigeria, Vol.5, No.3 (December 1970) p.330.

(١) هضبة جوس JOS من الظاهرات الطبيعية الواضحة, وهي هضبة ذات حواف متدرجة في الجنوب والغرب وتصل إلى أكثر من ١٧٠٠متر.؛ للمزيد أنظر:

محمد بلو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور, تحقيق بهيجة الشاذلي, منشورات معهد الدراسات الافريقية, الرباط, المغرب, ١٩٩٦, ص٥٦., وكذلك أنظر, ثريا محمود عبد المحسن: أمارات الهوسا: دراسة في التاريخ الحضاري والثقافي, العدد٢١, مجلة العلوم الانسانية, جامعة بابل, ٢٠١٤, ص١٨٦., وأنظر, فتحي محمد ابو عيانة: جغرافية افريقية "دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق علي دول جنوب الصحراء", دار الجامعات المصرية, القاهرة, ١٩٨١م, ص٢٤٣., حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام, ط١, القاهرة, ١٩٥٧م, ص٣٧٨. , محمد عبد الغني سعودي: مرجع سابق, ص٢٢٦. ,
Johnston, H.A.S.; The Fulani Empire of Sokoto, London, 1987,p,1.

(٢) بوشي: عبارة عن مرتفعات على شكل هضاب وجبال متباينة الارتفاعات, يبلغ أعلى ارتفاع فيها ١٧٨١متر, حيث تقع شمال نهر بنوي شرقاً. , محمد بلو: مرجع سابق, ص ص٥٦- ٦٨.

, ملكه عبد الله محمود محمد: الشيخ عبد الله بن فودي ودوره في بلاد الهوسا (١١٨١-١٢٤٦هـ / ١٧٦٧-١٨٣٠م), رسالة ماجستير غير منشورة, تاريخ حديث ومعاصر, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ٢٠١٥م, ص٢١., آدم عبد الله الإلوري: موجز تاريخ نيجيريا, دار الكتب الحياة, بيروت- لبنان, ١٩٦٥م, ص٦٥.

الكبرى في الشمال. أما منطقة الغابات فهي تمثل الحد الجنوبي لها, وجغرافية المنطقة في اقصى الشمال صحراوية جافة ويستدل على ذلك من إقليم كانو. كما تنحدر ببطء نحو بحيرة تشاد في الشمال الشرقي. وفيما يختص بالتلال والهضاب فهي متباينة الارتفاع في الشمال والجنوب, وأكثر جهاتها ارتفاعا في الجنوب الشرقي منطقة " بوشي " وهضبة جوس Jos في القسم الشرقي في وسط نيجيريا حيث ترتفع فوق سطح البحر بأكثر من الفي قدم تتخللها مرتفعات تصل إلى ستة الاف قدم وتتمتع بطقس لطيف(١).

٣- المناخ:

قد ظهر تأثير جغرافية السطح في بلاد الهوسا واضحا خلال السنة المناخية حيث تنقسم إلى فترتين متميزتين تماماً، وتمثل الفترة الأولى في فصل الأمطار الذي يبدأ من مايو ويستمر حتى شهري سبتمبر وأكتوبر، ثم تأتي الفترة الثانية التي تتميز بالجفاف والتي تستمر حتى مايو من كل عام ويستمر حتى شهري سبتمبر وأكتوبر، وفي هذا الفصل الجاف يمارس السكان حرفاً أخرى مثل التجارة أو الإغارة على المناطق الاخرى(٢).

٤- الثروة المائية:

أما فيما يخص الأنهار ومدى تأثير جغرافية السطح الأخر في تطور وتنوع الإنتاج الزراعي, حيث تكونت أراضي الهوسا من سهول فيضيه كونتها الأنهار وخاصة البطيئة الجريان وسهول سكوتو التي يصرفها نهر كيبي وروافده نحو نهر النيجر ثالث أنهار إفريقيا (بعد النيل والكنغو(٣), وذلك بالإضافة إلي سهول البورنو في أقصي الشمال الشرقي في حوض

---

(١) هضبة جوس JOS من الظاهرات الطبيعية الواضحة, وهي هضبة ذات حواف متدرجة في الجنوب والغرب

وتصل إلى أكثر من ١٧٠٠متر., ثريا محمود عبد المحسن: مرجع سابق, ص١٨٦. , للمزيد أنظر:

فتحي محمد ابو عيانة: مرجع سابق,", ص٢٤٣. , محمد عبد الغني سعودي: مرجع سابق, ص٢٢٧.

(٢) ملكه عبد الله محمود محمد: مرجع سابق, ص٢١.

(٣) ترتبط رحلات كابتن كلابرتون والرحالة أودنى بالجهود التي بذلت للكشف عن نهر النيجر ومعرفة اتجاه مجراه, والنيجر ثالث أنهار أفريقيا بعد النيل والكونغو, وهو يمتد في غرب القارة الأفريقية على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي ثم يتجه النهر من جديد تجاه الجنوب الشرقي حتى ينتهى عند المصب بدلتا كثيرة الفروع, ويتصل به على مسافة غير قصيرة من المصب نهر بنوى(Benue). للمزيد من التفاصيل أنظر: Major Denham F.R.S.,Captan Clapperton

بحيرة تشاد, وسادت تربات رملية خفيفة مشتقة من الكثبان الرملية التي تنتشر في الشمال والتي أدت إلي استيطان جماعة الهوسا بشكل مبكر. وقد تركزت الزراعة بشكل عام على جانبي نهر النيجر وفروعه, أما المناطق البعيدة عن الأنهار فإنها تعتمد على الينابيع والآبار ومياه الأمطار. وهي الحرفة الرئيسية لإعاشة الغالبية العظمى, لقبائل الهوسا بسبب خصوبة التربة ووفرة المياه. وأهم المحاصيل الموجودة الحبوب من الذرة, وأرز, والدخن, والفول السوداني, والفستق, والقطن, والتمر, والبطاطا, والبصل, والثوم, والفلفل, والفواكه, والخضر(١). هذا بينما يزرعون في القرى الذرة الرفيعة المبكر منها والتأخر, فضلا عن قصب السكر والبطاطا, والخضراوات, وظلت زراعتهم تمدهم بالغذاء, ومهر الهوسا في الزراعة بحيث يقيمون بالري من الترع والآبار مستخدمين الشواديف وقرب المياه, وهذه تستخدم عادة للحاصلات الأكثر أهمية كالبصل والأرز, كما عرفوا التسميد للأراضي الزراعية وخاصة حول المدن مثلما يحدث من استخدام الروث والبراز الذي يجمع من المدينة, كما نمت لديهم الصناعات المعدنية وبعض الحروف اليدوية الأخرى, كدبغ الجلود وصناعة النسيج والصناعات الجلدية من جلد الماعز ذات الشعر الأحمر(٢). وأدى نشاطهم الزراعي والتجاري مما مكن حكامها من تكوين الجيوش ومن ناحية أخرى كونوا جاليات تجارية متماسكة في كل هذه البلاد إلى أن أصبح لسانهم ولغاتهم هي لغة التفاهم المشترك في كل غرب أفريقيا. حيث كان للموقع الجغرافي لبلاد الهوسا– في المناطق الشمالية لنيجيريا – دوراً هاماً, في جذب واستيطان مجموعات سكانية مختلفة, كان عامل التوحيد الرئيسي هو اللغة الهوساوية التي أصبحت لغة الشعب وثقافته للسكان المحليين, والتي مكنته من امتصاص القادمين الجدد (٣).

And the lat e Doctor Oudney; Narrative of Travels and Discoveries in Northern and Central Africa in the years 1822,1823, and 1824,Vol.1, Printer by, Thomas Davidson, white friars, London, (N.D), P.5.

ترجمة: عبد الله عبد الرازق إبراهيم, مراجعة: شوقي عطا الله الجمل.

(١) الهادي المبروك الدالي: قبائل الهوسا " دراسة وثائقية ", دار الكتب الوطنية, ط٣, بنغازي– ليبيا, ٢٠٠٩م , ص٢٣٩.

(٢) محمد عبد الغني سعودي: مرجع سابق, ص٢٢٨.

(٣) ك مادهو بانيكار: الوثنية والإسلام, تاريخ الامبراطوريات الزنجية في غرب إفريقية, ترجمة أحمد فؤاد بلبع, جـــ١, ط٢, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ١٩٩٨م, ص١٩٧., للمزيد أنظر: عبد الله, داود أبو بكر: تأثير الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع النيجيري المعاصر في النصف الثاني من القرن

: السكان ٢- عناصر

نتيجة للموقع العام والثراء الكبير الذي عاشته المنطقة السودان الغربي , فقد عاش فيها خليط من الاجناس البشرية من فصائل عرقية متعددة ومنها القبائل السودانية المحلية والقبائل الصنهاجية التي حلت على هذه المنطقة من الشمال الافريقي منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها(١).

من أهمها:

أ -**الهوسا:** اختلف علماء الأجناس في أصل القبائل التي تتحدث بلغة الهوسا, وليس من الصواب أن نعدهم شعبا واحدا فهم يمثلون خليطا من شعوب تنتمي إلى أصول وجنسيات مختلفة وإن جمعتهم لغة واحدة أو اجتمعوا في صعيد واحد, فأخذت تتفاعل وتتشكل حتى ظهرت دويلات أو إمارات الهوسا(٢). والتي يقدر عدد الذين يتكلمون اللغة التي تجمل نفس الاسم- هوسا- قرابة عشرة ملايين, مما جعلها أحدى أكبر التجمعات اللغوية في غربي أفريقيا(٣).

وهنا نتساءل، وما هو أصل شعب الهوسا ؟.

أصل الهوسا: اختلفت الآراء حول الجذور الأولى لنشأة جماعات الهوسا, وغالبا ما كانت تتضارب وتتناقض فيما بينها وكان لكل رأى حجته وبرهانه.

النظرية الأولى: تناولت النظرية الأولى أصل الهوسا أنهم عرب من بغداد في العراق , وتأسست هذه النظرية على تأويل خاطئ لأسطورة "بياجّدا(أو دورة) Bagauda", بايزيدا

العشرين: منطقة هوسا ويوربا أنموذجا, رسالة ماجستير, المعهد الأعلى لأصول الدين, جامعة الزيتونة, تونس, ٢٠٠٢م, ص٧.

(١) منى محمد عادل سيد حسين: الحياة الاجتماعية والثقافية في إمارات الهوسا(القرن الثامن إلى العاشر الهجريين/ الرابع عشر إلى السادس عشر الميلاديين), رسالة ماجستير(غير منشورة), قسم تاريخ, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ٢٠٠٩م , ص٢١. ؛ أنظر, ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر, بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر, جـ٥, ١٩٧٩م, ص١٨١.

(٢) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا, مكتبة الأنجلو المصرية, ١٩٨٤, ص٣. , عبد الله, داود أبو بكر: مرجع سابق, ص٧.

(٣) بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير, ترجمة: الهادي أبو لقمة, ومحمد عزيز, ط٢, منشورات جامعة قاريونس- بنغازي, ١٩٨٨م, ص٣٦٥.

Bayazida هو اسم جد ملوك الهوسا"[١], والأسطورة تدل على تأثير سلطنة بورنو في المؤسسات السياسية لهوسا. وهذه النظرية ليس لها سند من واقع ولا دليل يثبت صحتها[٢], وتلك النظرية كتبت في القرن التاسع الميلادي معتمدة على الأسطورة لم تكن نواة لأي حقيقة تاريخية[٣].

أما النظرية الثانية: فتوضح أن جغرافية شعب الهوسا كانت في الأصل جنوب الصحراء الكبرى قبل أن تكتمل ملامحها الجغرافية وبعد أن أصيبت المنطقة بالجفاف كانت الهجرة البشرية لجماعة الهوسا شطر الجنوب[٤], واختلفت الآراء في تعامل الهوسا مع سكان المنطقة المحليين المستوطنين في الشمال, فهناك من يرى أنهم دحروا الشعوب المحلية على هضبة بوشي وهناك رأي آخر يؤكد أن المنطقة كانت قليلة السكان وصالحة للاستيطان بدرجة تغنيهم عن طرد السكان المحليين منها. وهذا يفسر تنوع الأعراق في الجزء الشمالي من الهضبة, وإذا كانت إشكالية انتساب الهوسا إلى الصحراء نظرية محتملة إلا أنها ليس لها سند يثبتها لذلك فهي تبقى طيي الفروض[٥].

والنظرية الثالثة: قد أكدت أن جذور الهوسا ما هم إلا سكان الشطر الغربي لبحيرة تشاد , وتعتمد حياتهم المعيشية على صيد الاسماك وزراعة المواد الغذائية , وبعد إن تقلصت بحيرة تشاد بفعل العوامل الجغرافية , تمسك جدود الهوسا بالبقاء في المكان واعتمدوا على الزراعة

---

(١) تقول أسطورة "بياجّدا (أو دورة) Bagauda ", بايزيدا Bayazida يعتقد أنه من أصل عربي نفي من بغداد وشق طريقه إلى بلاد الهوسا عن طريق بورنو, وهو جد ملوك الهوسا. ,

مهدي آدامو: الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط, الفصل الحادي عشر, موسوعة تاريخ أفريقيا العام, المجلد الرابع, اليونسكو, ١٩٨٨م, ص٢٧٤. ؛ للمزيد من التفاصيل أنظر: حسين سيد عبد الله مراد: مرجع سابق, ص٧., محمد فاضل علي باري, سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا" تاريخ وحضارة", دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ١٩٧١م, ص١٤٦. ,

Johnston, H.A.S, Op. cit., p.5-6.

(٢) مهدي آدامو: مرجع سابق, ص ٢٧٤.

(٣) المرجع نفسه والصفحة.

(٤) نفسه والصفحة. ؛ حسين مراد: مرجع سابق, ص٨.

(٥) مهدي آدامو, المرجع نفسه والصفحة.

والتي كانت أساس استقرارهم والمرتكز الرئيسي لقيام ممالك دورا, وكانو, وكاتسينا, وزارايا, ورانو, وبيرام وجدهم الأكبر يعرف باسم "باو" الذي هو مملوك لسلطان برنو(١).

ومما تقدم فأن النظرية الثالثة تبدو معارضة للنظرية الأولى والثانية .

أخيرا النظرية الرابعة: يقترح مهدي آدامو لتوضيح أصل الهوسا. أن بعض الروايات المتواترة محلياً تؤكد أن أجداد الهوسا, قد خرجوا من ثقوب الأرض, وهذا يؤكد أن شعب الهوسا ليسوا دخلاء على المكان , وانما من نبت الأرض وهذا يفسر أصلهم المحلي أما الهجرات التي وفدت إلى المنطقة من الشمال والشرق والغرب , ساعدت على الاستفادة والإفادة من المورثات المختلفة المنبثقة من البيئة(٢). ومما تقدم يتبين:

١- إن تمدد وانتشار واستيطان أبناء قبائل الهوسا قد امتد في مساحة جغرافية شاسعة يعتبرون المجموعة العرقية الكبرى في الأقاليم الشمالية لنيجيريا , واستوطنوا حول سكوتو Sokoto, وكانو, وزاريا. واصطلح الأغلبية من المؤرخون والجغرافيون والمستشرقين على نعتها بإقليم الزنوج , وأهم ما ميز هذه القبائل لغة الهوسا التي اجتمعوا تحت مظلتها, وسارت حال لسانهم ومعاملتهم التجارية. وقاموا بتأسيس سبع أمارات أصلية هوسا بكوي (Hausa Bakwai) وهي: كانوKano, رانوRano, زاريا Zaria, دورا Daura, جوبيرGobir, كاتسينا Katsina, بيرام Biram. وبجانب هذه الأمارات الأصلية هناك سبع أمارت غير أصلية يطلق عليها اسم بنزا بوكوي(Banza Bakwai) وتشمل: كيبي, زمفرا, نيب, جوراي, يوري, يوربا, كوارارفا(٣).

٢- يستخدم مصطلح الهوسا للإشارة بشكل عام إلى جماعة عرقية من المسلمين في الغالب ويتكلمون الهوسا كلغة أصلية. وعلى مر القرون, اعتمدت الشعوب المجاورة من مختلف

---

(١) المرجع نفسه والصفحة.

(٢) نفسه والصفحة. ؛ حسين مراد: مرجع سابق, ما يخص الرأي في بحثه , ص١٠.

(٣) نعيم قداح: أفريقيا في ظل الإسلام, مراجعة عمر الحكيم, دراسات أفريقية, سلسلة الثقافة الشعبية(٦), وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دمشق,١٩٦٠م, ص٨٠-٨١ . ؛

Plamer, H.R: The Bourn Sahara and Sudan, London,p.274.,
M.G. Smith; Kebbi and Hausa Stratification,The British Journal of Sociology, Vol.12, No.1(Mar.1961),The London School of Economies and Political, London,2017,p.56.,
Sir Alan Burns; History of Nigeria, London,1978,p.46.

أنظر: خريطة رقم (١) إمارات الهوسا في عام ١٧٨٠م, ص٣٦.

الخلفيات العرقية مثل: بعض من الفولانيFulani, وكانوريKanuri, ونيب Nupe, هوية الهوسا ببساطة بفضل الاستيعاب اللغوي (١), نتيجة امتزاج واختلاط ظل يحدث خلال عدة قرون بينهم وبين جماعات قبلية وجنسية كثيرة, أدت في النهاية إلى شكل دولة، إذ ليسوا قبيلة بالمعنى من هذه الكلمة فهو شعب لا ينحدر من دم واحد كالقبيلة, وأن جمعتهم لغة واحدة، ويقطنون أرضاً واحدة, وهم لا يشكلون عرقاً خاصاً بقدر ما يشكلون جماعة تتكلم نفس اللغة.

٣- رغم أن الهوسا لم تكن تمثل دولة بمضمونها الشامل, من حيث القوة لوضع حد للحروب الصغيرة المتكررة بين إمارتهم الصغيرة أو تجعلهم قادرين على الوقوف أمام غزوات جيرانهم. وقد أدى الصراع بين الامارات الهوساوية إلى التفرقة وعدم الاستقرار, وعدم التركيز على النواحي الثقافية أو الدينية. وصار الدين الإسلامي غريبا بين السكان, واختلطت العادات والمورثات الوثنية بالتقاليد الإسلامية, وصار الحكام يحملون لقب المسلمين شكلا دون فهم واع لأصول هذا الدين. مما أدى إلى ظهور أحد أبناء الفولاني المسلمين, وأعلن الجهاد الإسلامي في سبيل الله ونشر الدعوة واصلاح العقيدة الإسلامية وتنقيتها من شوائب وطقوس وثنية, والتطلع إلى إقامة دول وحكومات إسلامية تحكم بموجب الشريعة الإسلامية(٢).

وصار الجهاد الفولاني هو العمل الكبير الذي قام به الداعية والمجاهد عثمان بن فودي. والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو أصل هذا الشعب ؟ ومن أين جاء؟.

ب – الفولاني: في القرن الثامن عشر لمع نجم قبائل الفولاني المسلمة والتي كانت منتشرة في شتى أقاليم السودان الغربي, بين الساحل المحيط الأطلسي وبحيرة تشاد حتى الكاميرون، وأنهم شقوا طريقهم تدريجياً شرقاً إلى بلاد الهوسا في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي, حيث تعرضت بلاد الهوسا إلى موجات هجرات متتالية من الرعاة الذين يطلق عليهم الفنولا في الوقت الذي يسميهم شعب الهوسا اسم الفولاني, ويسميهم العرب اسم الفلاته(٣).

---

(١) Oussina Alidou: Geender, Narrative Space, and Modern Hausa literature, Research in African Literatures, Vol.33, No.2, Indiana University, U.S.A, 2002, , p.137.

لمزيد من التفاصيل أنظر, عبد الله, داود أبو بكر: مرجع سابق, ص٧.

(٢) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: الإسلام والغزو الأوربي لأفريقيا, ط١, مطبعة العمرانية للأوفست, الجيزة, مصر, ٢٠١٠م, ص٣٩.

(٣) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: دور قبائل الفولاني في نشر الإسلام وحضارته في الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر الميلادي, مرجع سابق, ص٧.

وكان بعض هؤلاء المهاجرين ينزحون إلى المدن ويختلطون بسكانها من الهوسا ويتزوجون منهم. وقد اختلف المؤرخون حول أصل الفلانين فالبعض منهم يرجعه إلى الأصل العربي, أو إلى الفرس الذين نزحوا من آسيا, وهناك من يرجعه إلى أصول أثيوبية, والبعض يقول أنهم نتيجة اختلاط الزنوج بالعرب والبربر(١).

ومهما اختلفت التفسيرات, وتعددت الآراء حول أصل هذا الشعب, فأن هناك شبة إجماع على أنه من أصل حامي, وأنه جاء إلى بلاد الهوسا من ناحية الغرب في القرن الثالث عشر الميلادي, بالرغم من تعدد الآراء فإن الفولاني يرون أن أصلهم من سلالة عقبة بن نافع(٢). حيث تم وصفهم بأنهم جماعة ذات بشرة سمراء ويشبهون العرب ولسانهم عربي يتحدث العربية ويكلمونها في مدارسهم والقرآن شريعتهم مكتوب بهذه اللغة وأسمائهم على وجه العموم أكثر بالعربية, ويعيشون قبائل أو عشائر وحافظوا هؤلاء الرعاة علي ثقافتهم ولغتهم ونقائهم الجنسي, ويبنون لأنفسهم مدناً ولا يخضعون لأي ملك من ملوك البلاد التي يقيمون فيها مع أنهم يعيشوا في أراضي هذه الملوك, وكانت هذه الجماعات المنفصلة المتناثرة في شتى أقاليم الهوسا, خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادين, تحولت إلى جماعة قوية استطاعت البقاء والاستمرار على أرض الهوسا, وتزوجوا مع السكان المقيمين بها, وحاولت هذه الجماعات نشر الإسلام الصحيح بين سكان يدينون بالإسلام ظاهريا, ولما تصدي أحد حكامهم لأبناء الفولاني, فاندلعت ثورة عارمة هبت في وجه هذا الحاكم قام بها أنصار الشيخ عثمان فودي, وهو الزعيم الإسلامي الذي قاد حركة جهاد كبرى في أمارات الهوسا(٣).

---

(١) محمد مولاي: القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع هجري حتى الثاني عشر هجري (١٥م–١٨م) رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية, قسم الحضارة الإسلامية, جامعة وهران١ أحمد بن بلة, الجزائر, ٢٠١٨م, ص٢٢. , محمد فاضل علي باري, سعيد إبراهيم كريرية: مرجع سابق, ص٢٤. ؛ Segliman, Charles: Races of Africa, p.96.

(٢) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: دور قبائل الفولاني في نشر الإسلام وحضارته, مرجع سابق, ص١١. , محمد فاضل علي باري, سعيد إبراهيم كريرية: مرجع سابق, ص٢٤.

(٣) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام, ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون, ط٣, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٧٠م, ص ص٣٦١–٣٦٤. , عبد الله عبد الرازق إبراهيم: دور قبائل الفولاني, مرجع

ج -البربر: شكل البربر كيانات قبلية بربرية حضرية وأخرى بدوية غير متحدة, إذ كان من مخلفات السيادة الرومانية في شمالي إفريقية بعد زوالها, إذ أعطت للبلدان المغربية صفة الحضرية أكثر من الصفة البدوية, واجتذبت إليها الكثير من البربر, خاصة أولئك الذين كانوا يعملون في المزارع الرومانية(١). فضلا عن الظروف الجغرافية ودورها الانعزالي, إذ كانت طبيعة البلاد الصحراوية ليست من اليسر والتجانس لتحقيق مثل هذه الوحدة بين عنصري البربر, لاسيما بعد أن بدأت عناصر البدو الرعاة في التوسع والانتشار على حساب المدنيات الزراعية المستقرة, وكانوا يعتمدون في معيشتهم على الغارات المتصلة على القوافل التجارية, وسفك الدماء ونهب الأموال والحرابة, ومنهم الطوارق أو الملثمين, أي الذين يضعون اللثام على وجهوهم, أو الصنهاجيين, نسبة إلى قبائل صنهاجة, الذين انتشروا أيام فتح إفريقية في الصحراء الكبرى. وقد بدأ الإسلام ينتشر في هذا الإقليم الصحراوي كثيراً, وظهرت في أهله البركة والخير كثيراً(٢). حيث اعتنقت الأغلبية منهم الإسلام, بسبب الاتصال بالإسلام عن

سابق, ص١٢., حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى شرقي القارة الأفريقية وغربها, محاضرات القاها في معهد الدراسات العربية العالية, ١٩٥٧م, ص٧٤. ,

Dubois, F.: Tomboctu, La Mystrieuse, Paris 1899, P. 153.

(١) مهدي رزق عبد الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية, ط١, مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, الرياض, ١٩٩٨م, ص٤٤. , وأنظر, يسري عبد الفتاح الجوهري: شمال إفريقية- دراسة في الجغرافية التاريخية, (د/ت),

ص ص١٥٨-١٥٩.

(٢) أما عن البربر يقول محمد بلو؛ هؤلاء البربر من بقايا البرابرة الذين بين الزنج والحبوش, وهم الذين طردهم حمير من اليمن, عندما استغاث به أهل الشام حين أكثر البربر الفساد فيها واستنصروا عليهم, فغزاهم فشتت جموعهم. وطردهم, واستوطنوا قريبا من أرض الحبشة, ثم وافدوا كانم, واستوطنوها ووجدوا في هذا البلد عجما تحت حكم إخوانهم التوارك- الطوارق- وغلبوهم على البلد وأقبلت دولتهم أيام استيطانهم البلد, حتى ملكوا أقاصي البلاد من هذا القطر, وكانت وداي وباغرم قبل هذا تحت سلطانهم, وكذلك بلاد الحوس, ثم ضعفت شوكتهم., محمد بلو: مرجع سابق, ص ص٦٤-٦٣؛ للمزيد من التفاصيل أنظر: جان دفيس: التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا, الفصل الرابع عشر, تاريخ إفريقيا العام, المجلد الثالث, اليونسكو, ١٩٦٥, ص ص٤٠٣-٤٠٧., آدم عبد الله الإلوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفولاني, مكتبة وهبة, نيجيريا, ٢٠١٢م ,

ص ص٣٤-٣٣. , مهدي رزق عبد الله أحمد: مرجع سابق, ص ص٤٤-٤٥.

طريق المحاربين العرب الذين غزوا بلادهم, أو عن طريق التجار المسلمين الذين راحت قوافلهم تجتاز الصحراء الغربية بعد الفتح العربي للمغرب مباشرة. ولا شك أن هذه الاتصالات أدت إلى إسلام بعض البربر الذين كانوا يعملون كمرشدين ومرافقين يحرسون القوافل, وكان تأثير الثقافة الإسلامية على السكان المحليين أكثر عمقاً وقوة في المراكز التجارية والسياسية القليلة الموجودة في المناطق التي استقر فيها التجار بصفة دائمة (١), وبذلك كسب الإسلام من بينهم مناصرين جدد أشداء, أدوا دوراً هاماً في قيامهم بنشر الإسلام في مناطق أفريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى؛ حيث كانت قوافل التجار ومنهم البربر التي كانت تزرع الصحراء إلى مناطق الساحل والسودان الأكثر خصوبة لم تكن محملة بالسلع فحسب, وإنما كانت تحمل أيضا الأفكار الدينية والثقافية الإسلامية التي تشربونها, والتي لقيت صدى وقبولاً في نفوس التجار بادئ الأمر, وفي بلاطات الأفارقه فيما بعد والذين كانوا لا يكفون عن المضي صوب الجنوب كلما أتيحت لهم الفرص، حيث شكلوا هناك عنصر أخر من عناصر سكان الهوسا, وقد عاش الفريقان جنبا لجنب فترة طويلة ثم اندمجا ومن هذا الاندماج نشأت شعوب الهوسا(٢). وبذلك كان لهم دوراً هاماً في نشر الإسلام وحضارته في بلاد الهوسا.

د- الكانوري: كان هناك العنصر الكانوري، مما يدل على تواجد التأثيرات القادمة من الكانم والبرنو على الهوسا والدليل على تواجد التأثير الكانوري انه قد كانت هنالك كلمات عربية كثيرة مرتبطة بالدين ادخلت الى الهوسا بواسطة الكانوري، ويدل هذا على أن الاسلام قد دخل إلى بلاد الهوسا قبل دخوله من الغرب أي عن طريق الونقارة وأنه قد دخل إلى المنطقة عن طريق الكانوري في القرن الحادي عشر(٣).

---

(١) إيفان هربك: أفريقيا في إطار تاريخ العالم, الفصل الأول من تاريخ أفريقيا العام, المجلد الثالث, اليونسكو, ط١, المطبعة الكاثوليكية, بيروت- لبنان, ١٩٨٨, ص ص٢١-٢٩. , للمزيد من التفاصيل أنظر: رجب عبد الحليم وأخرين: لمحات من تاريخ القارة الأفريقية (الموسوعة الأفريقية, المجلد الثاني, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة ١٩٩٧م, ص ص٨٠- ٨١.

(٢) إيفان هربك: مرجع سابق, ص ص٩٠-٩٥., أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي, الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن، ط٥، مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٩٠, ص١٩٨. للمزيد أنظر, بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير, ترجمة: الهادي أبو لقمة, ومحمد عزيز, منشورات جامعة قاريونس- بنغازي, ١٩٨٨, ص ص٩٩-١٠٣.

(٣) ثريا محمود عبد المحسن: مرجع سابق, ص١٩٠.

المبحث الثاني: العوامل التي ساهمت في انتشار الثقافة العربية الإسلامية في بلاد الهوسا

كانت التحركات والتنقلات السكانية التي قامت بها جماعات الهوسا في مساحة جغرافية: تمتد من جبل الهواء في النيجر شمالا إلى منطقة هضبة جوس بلاتو وسط نيجيريا جنوبا, ومن حد مملكة بورنو وبحيرة تشاد شرقا حتى وادي النيجر غربا. قد أدت إلى تشرب السكان الأصلين للإسلام وأصبحت المنطقة بها ازدواجية ثقافية, وكانت الثقافة الإسلامية بطابعها المعروف من البساطة واللين والثقافات المحلية تلتقيان وتعيش كلاً منفصل عن الأخرى. وهناك عدة بواعث ساهمت في ترسيخ الثقافة الإسلامية في المناطق التي سيطرت عليها قبائل الهوسا. شملت الطرق, والتجار والعلماء والدعاة والفقهاء, وأهل الصوفية [١].

١- الطرق:

كانت الطرق التجارية الممتدة بين الشمال الأفريقي وغربها, والتي سهلت توافد الدعاة والتجار العرب والبربر المسلمون على المنطقة من مصر, وغدامس, وفاس, وتوات, وغيرها, حيث شهدت المنطقة رواجاً تجارياً وثقافياً بسبب النشاط التجاري الكبير, وأصبحت مدن الشمال الأفريقي مراكز للتجارة بجانب كونها مراكز للعلم والثقافة. وكانت الصحراء الكبرى عقبة في التواصل التجاري حتى دخول واستعمال الجمل من آسيا إلى شمال إفريقية, ذلك أن الجمل كان الحيوان الوحيد الذي يمكن الناس من القيام برحلات تراوح طولها بين ألف وألفي كليو متر, أي المسافة الفاصلة بين حافتي الصحراء, فضلا عن احتياجات نجاح تجارة عبر الصحراء لمسافات بعيدة, عدد دواب الحمل التي تتألف منها ضخامة حمولاتها التي تقايض بالسلعة الرئيسية التي كان سعى الها التجار في جنوب الصحراء, إلا وهي الذهب. ومن ثم اتجه تجار العرب والبربر بقوافل الجمال التي تحمل تجارتهم واخترقوا الصحراء الكبرى ووصلوا الى بلدان جنوب الصحراء, وكان هؤلاء التجار سواء كانوا من العرب أم من البربر أم من السودان والزنج ينزلون الأسواق أو المراكز التجارية ثم يحتكون بالزنوج ويؤثرون فيهم بنظافتهم وأمانتهم وسلوكهم الشخصي القائم على قيم الإسلام مما حبب فيهم الأهالي,

(١) أحمد شلبي: مرجع سابق, ص١٦٩., حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقية, جـ١, القاهرة, ١٩٦٣م, ص١٩٠.

فوثقوا فيهم مما فتح الباب أمام بضائعهم التجارية والمعاملات التجارية بينهم(١). إذ لا يخفى أن الأخذ والعطاء غالباً ما يؤدي إلى تبادل الأفكار ونمو الثقافات وانتقال الحضارات, ولولا الطرق التجارية التي كانت تربط السودان الغربي ببلاد البحر الأبيض المتوسط أو وادي النيل, لما ازدهرت في وقت من الأوقات تلك الحضارة الإسلامية التي عرفتها دول غربي أفريقيا(٢) .

٢- التجارة والتجار:

كانت التجارة من العوامل التي ساهمت على توجه العرب جنوباً نحو بلاد الهوسا, حيث كانت الركيزة الأولى للصلات العربية الأفريقية قبل ظهور الإسلام, وشكلت العامل الأساسي في انتشار الثقافة الإسلامية العربية, وقد تعززت هذه الصلات وأخذت مضموناً ثقافياً جديداً, بعد ظهور الإسلام(٣). منذ أن فتح المسلمون مصر البيزنطية في سنة ٢٠هـ /٦٤٠م, ثم امتد نفوذ العرب المسلمين بعد ذلك لبقية شمال وغرب أفريقيا على فترات متلاحقة, ولم يكد القرن الهجري الأول يشرف على نهايته إلا وكان العرب المسلمون قد أتموا فتح الشمال الأفريقي بكماله (٤).

واتجه الجيش الإسلامي الفاتح عابرا الصحراء مدعما بالعناصر البربرية في الأراضي القاحلة ليمدوا النفوذ الإسلامي إلى جنوب الصحراء وما بعدها, فضلا عن تلك الظروف

---

(١) جان دفيس: مرجع سابق, ص٤٠٧., وللمزيد أنظر, رولاند اوليفر وجون فيج: موجز تاريخ إفريقية, (ترجمة دولت صادق), (د/ت), ص٦٥., كذلك أنظر, شوقي الجمل: "دور العرب الحضاري في أفريقيا"؛ رؤوف عباس حامد(المحرر) ضمن: العرب في أفريقيا: الجذور التاريخية والواقع المعاصر, دار الثقافة العربية, القاهرة, ١٩٨٧م, ص١٦ص١٥٠., توماس أرنولد: مرجع سابق, ص ص٣٧١-٣٨١.

(٢) مهدي رزق عبد الله أحمد: مرجع سابق, ص٦٥.

(٣) جعفر عبد السلام: التعليم العربي الإسلامي في إفريقيا, سلسلة الدراسات الإفريقية, العدد الأول, الكلمة للنشر والتوزيع, المنصورة- مصر, ٢٠١٥م, ص٨٥ .

(٤) أيمن فؤاد سيد: صفة أفريقيا في المصادر العربية حتى القرن العاشر الهجري, رؤوف عباس حامد(المحرر), العرب في أفريقيا: (الجذور التاريخية والواقع المعاصر), مرجع سابق, ص٢٨., وأنظر, عبد الرحمن ذكي: الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا, مطبعة يوسف, (د/ت), ص٦. وكذلك أنظر, فج .جي. دي: تاريخ غرب أفريقيا, ترجمة: السيد يوسف نصر, دار المعارف, القاهرة, ١٩٨٤م, ص٧٧.

الخاصة, فقد كان لقبائل الهوسا دوراً هاماً في نشر الإسلام وثقافته في هذه المنطقة، وخاصة تجارهم، الفضل الأكبر في مجال الدعوة الإسلامية والتعليم الديني بين القبائل الزنجية التي تقطن الصحراء وفيما وراء الصحراء، فالفضل يرجع إلى مراكز تجارتهم الموجودة في السهول التي تلي الصحراء، فتجذب إليها العناصر المسلمة النشطة لتقوم بدور بارز في خدمة الإسلام وتربيته(١).

ومن ثم شاهدت المنطقة كيف تغيرت هذه المظاهر الثقافية الوثنية المتوارثة, متمثلاً في الطباع والسلوكيات, بدخول التجار المسلمين ودورهم الجليل في انتشار الدين الإسلامي وحضارته وتأثيره في تللك البقاع, بتعاليمه ومبادئه, فكانوا بشكل أو بآخر, دعاة لهذا الدين(٢).

وعمد بعض التجار إلى تشيد المدارس والمساجد وكثيرا ما كانوا يرسلون الطلاب من السكان الأصليين إلى المعاهد الإسلامية في مصر أو الشمال الإفريقي ليتولوا مزيدا من العلم وليعودوا قادة للفكر الإسلامي في بلادهم, وعندما كثر إقبال الإفريقيين على السفر للتعلم في المعاهد العلمية الشهيرة عمد كثير من التجار ببناء بيوت لهم يعيشون بها طيلة التحاقهم بهذه المعاهد, كما قدم ما احتاجه الطلاب من نفقات ومصروفات حيث كان تعلمهم عن طريق اتصالهم بالحضارة الإسلامية التي وفدت إليهم، بوساطة الاحتكاك التجاري في المقام الأول، أدت إلى أشياء كثيرة لم تكن لديهم من قبل, شمل تأثيرها تغيرات في السلوكيات والعادات والتقاليد , وكان للعرب في هذا دور مركزي، لأنهم عرفوا التجارة مع إفريقية عامة منذ أمد بعيد(٣). إذ بفضل انتشار الإسلام وتوسعه, زاد النشاط التجاري بين شمالي الصحراء وجنوبيها، كما زاد النشاط التجاري الذي يقوم به العرب. وبالتالي عني حكام المسلمين بالطرق والأمن وحددوا المكاييل والمقاييس السليمة، وأشاع التاجر حوله جوا من الثقة، فلقي ترحابا أني حل، وأصبح بيته منارة للفكر الإسلامي بما يحمله من مدنية وحضارة، واختار مساعديه من الجنوب، ومن خيرة الناس، فهيأ للإسلام فرصة الانتشار والذيوع مع التجارة والتجار(٤).

٣- الدعاة والعلماء والأئمة:

---

(١) مهدي رزق عبد الله أحمد: مرجع سابق, ص٦٦. ,

M,A.H. Sharkawy: "Egyptian and Foreign El enents in the Evolution of West Arriccan Cultures C,U.D.A. Vol.1, (1933), p.190.

(٢) جعفر عبد السلام: مرجع سابق, ص٨٦.

(٣) مهدي رزق عبد الله أحمد: مرجع سابق, ص٦٦.

(٤) المرجع نفسه والصفحة. , للمزيد أنظر, عطية مخزوم الفيتوري: مرجع سابق, ص١٠١.

إذا كان الإسلام قد دخل إلى شمال أفريقيا بواسطة الجنود الإسلاميين, فإنه دخل إلى جنوب القارة عن طريق الدعاة والتجار, ومعتنق الإسلام يصبح صاحب فكرة تنتقل منه إلى غيره, ولا يوجد أي تضارب بين الفاتح والداعي, فالداعي المسلم يأتي عقب الفاتح ليكمل النقص في تحويل الناس إلى الإسلام(١). ويبدو أن هذا هو السر الحقيقي في نجاح الدعاة, فليس هناك هوة بين الداعي إلى الإسلام والمتحول إليه, إذ يصبح كلاهما متساويين أمام الله(٢). وكان للدعاة دور ثقافي حيث شجعوا الناس على تعلم اللغة العربية, وكانوا يتحركون في الأسواق والمراكز التجارية ويحتكون بالسكان المحليين ويؤثرون فيهم سلوكيا(٣). على أن هنالك بعض العوامل التي ساهمت في نجاح نشاطهم الدعوي في- بلاد الهوسا- المنطقة ؛ نلخصها فيما يلي:

١- المعروف سالفاً, قد سار هؤلاء الدعاة والأئمة على الدروب نفسها التي خطتها سنابك خيول طلائع الفتح الإسلامي منذ وصولها إلى الشمال الأفريقي, بل جاوزتها جنوباً. ومن ثم سهلت توافدهم على منطقة الصحراء الكبرى وما بعد ذلك , إذ أدت إلى نشأت المحطات والاستراحات على طول طرق القوافل لخدمة المسافرين عبر الصحراء مما كان له عظيم الأثر في الربط بين مناطق القارة شمالها وغربها, وساعدت أيضا الدعاة في نشر الإسلام واللغة العربية والحضارة الإسلامية(٤).

٢- الداعي المسلم كان لا يجد غرابة في أن يكون داعيا وتاجرا معاً, فإذا برزت مدينة تجارية كان يؤمها البائع والمشترى وسرعان ما تصبح مركزا ثقافيا يؤمها المعلم والمريد حتى أصبح من

من الشائع أن مراكز الاحتكاك تبودلت فيها السلع والأفكار, وبذا لم يعد من السهل وضع حد فاصل بين الدور الذي قام به هؤلاء الدعاة, والدور الذي قام به التجار, غالباً ما كان هذان

---

(١) جعفر عبد السلام: مرجع سابق, ص٨٩. , حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق, ص ص١٦،١٧،٢٢.

(٢) حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق, ص٧٧.

(٣) عبدالرحمن زكي: مرجع سابق, ص٦.

(٤) مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص١٥١. ,
Major Denham.,Captan Clapperton And the late Doctor Oudney; op. cit., p.179.

الدوران يجتمعان في رجل واحد ألا وهو الداعي التاجر, مما أدى إلى نشر الإسلام واللغة العربية والحضارة الإسلامية(١).

٣- أجمع المؤرخون على أن السلم والاقناع كان الطابع العام لانتشار هذا الدين, لذلك أقبل عليه الافريقيون أقبالاً شديداً, فلم يشهر المسلمون الأوائل السيف إلا في الحالات الدفاعية التي خلقها تكتل الوثنية, وكان الداعية الاسلامي يعقب الفاتح في هذه الحالة, ليدخل الطمأنينة إلى نفوس وليقرب إليها الإسلام وقد شهد الرحالة الأوربيون على انتشار الدعوة بالطرق السلمية وقيام الداع بأعمال انسانية, تنطوي على الرفق في معاملة الأفريقيين, مما ساعد على تقدم الإسلام بسرعة كبيرة(٢). وكون العلماء والدعاة في بلاد الهوسا بصفة عامة فئة هامة حظيت برعاية الحكام وكبار التجار وعامة الشعب, وكان المكانة البارزة التي حاذها العلماء والدعاة والفقهاء في مجتمع الهوسا, فقد تميزوا حتى في ملابسهم. وقد تركز دور الدعاة حول محاربة الأوضاع المورثة من ممارسات الحكم والعادات والتقاليد التي تتنافى مع مفاهيم الإسلام. فكان هؤلاء يتوغلون داخل البلاد, ويختلطون بالسكان, ويتزوجون ممن أسلم, ويقمون بتعليم الأطفال مبادئ العقيدة, سوى الأطفال المسلمون والوثنيون على السواء(٣). وقد تجسدت أفكار الإسلام وتأثيره في الحياة الاجتماعية بشكل واضح في بلاد الهوسا.

٤- الهجرات:

من أهم أحداث القرن الثامن عشر الميلادي هجرة شعوب ومجموعات قادمة من مختلف الآفاق بأعداد هائلة إلى بلاد الهوسا في أزمنة مختلفة ولأغراض شتى. شملت العناصر العربية والبربرية والسودانية والزنجية في أطار من التنوع والتعدد, والمناطق التي توافدت منها الأغلبية العظمى من هؤلاء النازحين هي: الساحل شمالاً, وبورنو شرقاً, ومناطق امبراطوريتي مالي وصونغي غرباً, وكانت فئات النازحين تشمل رعاة, وصائدي سمك, ومزارعين, وتجار, وباعة صغار, ورجالات دين مسلمين, وعلماء (يسمون بالهوسا معلمين),

---

(١) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي, مج٦, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٨٢, ص١٩٤. , مطير سعد غيث أحمد, مرجع سابق, ص١٥٩.

(٢) نعيم قداح: مرجع سابق, ص ص١٣٣-١٣٤.

(٣) جعفر عبد السلام: مرجع سابق, ص٩٠.

كذلك بعض الأرستقراطيين, وكان المهاجرين من الرعاة الفولاني في المقام الأول, ثم الطوارق(١).

وقد ارتبطت إلى حد كبير بالتجارة, وبوصول المد الإسلامي وحضارته إلى بلاد الهوسا.

وكانت مصر هي القاعدة والمنطلق(٢). منذ عصر الفتوحات العربية الإسلامية في القرن الأول للهجرة, ظلت هذه الهجرات العربية تتتابع حتى القرن الخامس للهجرة, وفدت من شبة الجزيرة العربية إلى مصر, ومن أهمها هجرة بنو هلال وبنو سليم, وانسابت في منطقة شمال أفريقيا بحثا عن ظروف معاشية أفضل, ودخلت حروب متصلة مع سكان هذه المناطق, وبعد فترة ذابت بين سكانها(٣). ولا شك أن هذه الهجرات قد زاد وأتسع نشاطها, وقد أديا في النهاية إلى تعريب أهل البلاد الأصليين, فانتشرت بينهم اللغة العربية وأصبحت لسانهم, ذلك أن هذا

---

(١) يعد المدخل الرئيسي لظهور جماعات الهوسا, أو فيما عرف بمنطقة شعوب بلاد الهوسا, موقعها الجغرافي, حيث كانوا يعيشون في السابق- قبل دخولهم لنيجيريا- في الأقاليم الوسطى لجنوب الصحراء شرق نهر النيجر, وقد أخرجتهم قبائل الطوارق من موطنهم فاتجهوا نحو الجنوب. والطوارق: شعب افريقي قديم كان يعمَر الصحراء الكبرى من أكبر مجموعات القبائل الصنهاجية الصحراوية من البدو الرحالة التي تعيش في الصحراء الكبرى ما بين بلاد السودان وبلاد المغرب, وعرفوا فجاجها شبراً شبراً وأصبح يطلق عليهم جميعا اسم الطوارق. وهم مسلمون لهم صلة بقبائل شمال إفريقيا حيث يتحدثون اللغة البربرية, كذلك اشتهروا باللثام الذي يغطون به وجوههم ولهذا يعرفون بالملثمين وعرفوا كذلك بملابسهم الزرقاء وهي من نسيج أيديهم ويصبغونها بالنيلج وهو كثير في صحراء مصر الغربية وقد طال الصراع بين من الطوارق وكل من حاول دخول الصحراء الكبرى. للمزيد من التفاصيل أنظر:

شوقي الجمل وعبد الله عبدالرازق إبراهيم: دراسات في تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر, القاهرة ١٩٩٨, ص٥., وكذلك أنظر, جوزيف, كي زيربو: تاريخ افريقيا السوداء, ترجمة يوسف شلب, منشورات وزارة الثقافة السورية, دمشق ١٩٩٤, جـــ١, ص٧٢٤., وأنظر, مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري السادس والسابع عشر للميلاد, ط١, دار الكتب الوطنية/ بنغازي- ليبيا, ٢٠٠٤م, ص ص٤٤-٤٧ , سايبو, دجيبو: الدور الحضاري لشعب الهوسا في الفضاء النيجيري من القرن الرابع عشر الميلادي إلى بداية الاستعمار الأوربي, رسالة دكتوراه, المعهد العالي لأصول الدين, جامعة الزيتونة, تونس, ٢٠٠٨م, ص ٢٥.

(٢) رجب محمد عبد الحليم وآخرون: مرجع سابق, ص٧٤.

(٣)عبدالله عبد الرازق إبراهيم: التراث الحضاري الإسلامي لزعماء نيجيريا في القرن التاسع عشر, مجلة عالم الفكر, الكويت, ١٩٩٠م, ص١.

الدين الجديد أظهر قدرته على أقناع أقوام وشعوب تنتمي إلى أصول شديدة الاختلاف واستيعابها, وصهرها في بوتقة مجتمع ثقافي وديني واحد(١). وإذ انساحت هذه المجموعات في الانتشار صوب الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى, حيث جدبت الصحراء وأجبرتهم الطبيعة وقسوتها إلى البحث عن ظروف معيشية أفضل أو هروبا من الصراعات والحروب القبلية, غير إن الأغلبية من السكان المحليين فضلوا إخلاء أماكنهم للهجرات الوافدة من شمالي الصحراء الأفريقي واتجهوا جنوباً.

وهو ما عرف لدى جمهور المؤرخون والجغرافيين العرب, باسم زحزحة السكان المحليين في موجات من الهجرات القبلية جماعية والمتتالية صوب الجنوب. واختلطوا بالشعوب والقبائل المستوطنين في الحيز الجغرافي بين مملكة بورنو وبحيرة تشاد شرقا والمنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر نيجر غربا, ومن حدود مملكة أهير في الصحراء الكبرى شمالا- جمهورية النيجر حالياً- إلى حدود نهر بينوي جنوبا. أدت إلى في النهاية إلى ظهور جماعات الهوسا العرقية.

في حين كان يتسرب إلى هذه المنطقة هجرات وافدة من بورنو شرقاً لعدد من الشعوب ولا سيما الفولاني, ثم الطوارق, ذات ثقافة إسلامية. ويحتمل أن الهجرة من بورنو إلى بلاد الهوسا كانت عملية قديمة جداً, لكننا لا نمتلك شهادات مكتوبة على ذلك إلا ابتداءً من القرن الخامس عشر الميلادي. غير أن استطاعت بعض من عناصر الشعوب المحليين الزنجية أن تحتفظ بالنصيب الأوفر من دمائها وتقاليدها الوثنية, وأكثرها لم يتعرض لغارات أو هجرات جدية من قبل الجماعات التي تحمل المؤثرات الإسلامية, بسبب التجائها إلى أقاليم تحميها بعض الظاهرات الطبيعية. ولذلك يرى سيلجمان وغيره أن هذه الجماعات الزنجية الصريحة توجد بوجه خاص في إفريقية الغربية فيما بين نهر السنغال, إلى حدود الشرقية لنيجيريا, وبالرغم من ذلك حدث تزاوج واندماج سلالي وثقافي مع السكان المحليين, أثمر عن أمة الهوسا, وتطلق كلمة الهوسا على اللغة التي تتحدث بها هذه الشعوب والقبائل, فهي لغة كانت ولا تزال منتشرة على نطاق واسع في غربي أفريقيا, وقد تأثرت هذه اللغة كثيرا باللغة العربية, وخصوصا بعد انتشار الإسلام في بلاد الهوسا(٢).

---

(١) إيفان هربك: مرجع سابق, ص٢١.

(٢) لغة الهوسا يتكلم بها سكان شرق النيجر, وشمال نيجيريا, وتتفرع هذه اللغة إلى لغات محلية حول بحيرة تشاد أهما الكانوري., نعيم قداح: أفريقيا في ظل الإسلام, مراجعة عمر الحكيم, دراسات أفريقية,

والخلاصة: أن هجرات القبائل سواء كانت عربية أو بربرية أو سودانية وزنجية, وهي التي كانت تتوغل في افريقيا الشمالية عبر طريق المسالك الصحراوية وما إليها, حاملين معهم التجارة والأفكار, وأدى استيطانهم في المدن وحول أحواض الأنهار وفي المراعي والسهول, واندماجهم ومصاهرتهم للأفارقه المحليين, بالغ الأثر في نشر الإسلام والثقافة العربية في بلاد الهوسا. حيث كانت ظاهرة اجتماعية اقتصادية بالغة الأثر والتأثير.

٥- قوافل الحج:

كانت شعيرة الحج من الشعائر التي استفاد منها المسلمين في نشر مبادئ وقواعد الإسلام في بلاد الهوسا. وكانت قوافل الحج تتسم بالديمومة خلال القرن الثامن عشر الميلادي, وساعدت تعلم مبادئ الحج وأسسه في ترسيخ العقيدة الإسلامية في أفئدة جماعات الهوسا. ومن ثم ساهمت قوافل الحج كوسيلة من وسائل انتشار الثقافة العربية الإسلامية , والتي نظمها حكام وعلماء وأهالي السودان الغربي, والتي لم تتوقف بل استمرت هذه الرحلات خلال القرن الثامن عشر للميلاد. والحج إضافة إلى كونه ركناً من أركان الإسلام فهو مناسبة اجتماعية, ومنارة ثقافية ومجالاً لسوق اقتصادية. ففيه تشهد الأماكن المقدسة في الحجاز تجمع الحشود من أجناس متعددة, ويكون فرصة لإظهار وحدتهم, ومناقشة أمورهم, ونهل بعضهم من علوم البعض الآخر, وتعلم المهارات التي تمدهم بأسباب البناء وعوامل الارتقاء والتطور بمجتمعاتهم المحلية[١], وكان الحج ومازال أهم العوامل التي تيسر فرصة الالتقاء بين الأفراد والجماعات والتبادل الفكري والثقافي[٢].

٦- الطرق الصوفية:

سلسلة الثقافة الشعبية(٦), وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دمشق,١٩٦٠م, ص ص٢٢-٢٤. , عبد الله عبد الرازق إبراهيم: مرجع سابق, ص٣., مصطفى حجازي السيد: أدب الهوسا الإسلامي, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, المملكة العربية السعودية, ٢٠٠٠م, ص٤٠. , محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية, دراسات إفريقية, الدار المصرية للتأليف والترجمة, القاهرة, ١٩٦٥م, ص٤٦., للمزيد من التفاصيل أنظر:

The Kano Chronicle, p.111-104.

(١) مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص ص١٦٥-١٦٩. للمزيد أنظر, رجب محمد عبد الحليم, وآخرون: الموسوعة الأفريقية, لمحات من تاريخ القارة الأفريقية, مرجع سابق, ص ص٨٢-٨٤.

(٢) شوق الجمل: دور العرب الحضاري في أفريقيا, رؤوف عباس حامد(المحرر) ضمن: العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر, مرجع سابق, ص١٥٣.

تعد الطرق الصوفية من الظواهر الإسلامية التي لا يمكن إغفالها في تاريخ بلاد الهوسا. حيث لعب أتباعها دورا دينيا وسياسيا هاما في نشر الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا عامة وبلاد الهوسا بصفة خاصة. ويرجع المؤرخون وأهل الاختصاص دخول الطرق الصوفية في منطقة- بلاد الهوسا- إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر الميلادي, بواسطة جماعة من المهاجرين كانوا يتخذون واحة توات غربي المغرب مركزا لهم, ثم انتقل هؤلاء إلى ولآتة بجنوب شرقي موريتانيا فجعلوا منها أول مركز لطريقتهم(١), إلا أنه قد برز دورهم في القرن الثامن عشر الميلادي, بسبب تطورها الحقيقي على يد قبائل الهوسا وقبائل الفولاني التي تقطن حوض السنغال(٢). في منطقة جغرافية ذات سهول خصبة محصورة بين الصحراء الكبرى وجبال أير "Air"من الشمال وثنية النيجر في الغرب وبحيرة تشاد في الشرق والمناطق الساحلية لخليج غانا في الجنوب, وهو الحيز الذي سكنه قبائل الهوسا (٣). هذا ويقوم نشاط الفرق الصوفية في الغالب على الإرشاد ويعتمد على التعاليم الإسلامية ويقوم على حب الجار والتسامح مع المسيحيين(٤).

وعن فن التصوف يقول محمد بلو: اعلموا أيها الناس أن صفات القلب على ضربين: مهلكات ومنجيات. فالمهلكات هي: العجب والكبر و"الحسد" والحقد والبخل والرباء وحب الجاه وحب المال للافتخار والأمل وإساءة الظن بالمسلمين. فهذه العشرة من المهلكات, من أصول مذمومات الأخلاق, فيجب على كل مسلم أن يتخلى عنها ويتحلى بالمنجيات وهي: التوبة

---

(١) محمد علي الهمشري, السيد أبو الفتوح وآخرون: انتشار الإسلام في افريقيا, ط١, دار أركان, الرياض, ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م, ص٦٢., موسى عبد السلام أبيكن: التصوف في غرب أفريقيا, مجلة حوليات التراث, العدد١٣, جامعة مستغانم, الجزائر, ٢٠١٣, ص٢٢.

(٢) على بدوي علي سالمان: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (١٩٠٣- ١٩٦٠م), رسالة ماجستير(غير منشورة) تاريخ حديث ومعاصر, معهد البحوث والدراسات الإفريقية, جامعة القاهرة, ٢٠٠٣م, ص٣.

(٣) محمد فاضل علي باري, سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا" تاريخ وحضارة", دار الكتب العلمية, بيروت, ١٩٧١م, ١٤٦. , مهدي آدامو: مرجع سابق, ص٢٧٣.

(٤) سايبو, دجيبو: الدور الحضاري لشعب الهوسا في الفضاء النيجيري من القرن الرابع عشر إلى بداية الاستعمار الأوربي, رسالة دكتوراه, المعهد الأعلى لأصول الدين, جامعة الزيتونة, تونس,٢٠٠٨م, ص٢٧. ؛

Reger Michel; Prehistoire et histore, in Les Atlas Jeune Afriqus; Niger, Editions J.A, Paris, 1980, p.4-8.

والإخلاص والصبر والزهد والتوكل وتفويض الأمر إلى الله تعالى والرضى بقضائه والتقوى والخوف والرجاء, وهذا أيضاً من المنجيات من أصول محمودات الأخلاق, فمن أثبتها ثبت فروعها فيه بأذن الله [١]. وكان كثير الأثر في تاريخ وحضارة هذه البلاد ونهضتها. فقد رأى أهل بلاد الهوسا في شيوخ الطريقة أولياء يتبركون بهم. وأن على كل مسلم هوساوي ضرورة ارتباطه بإحدى هذه الطرق الصوفية التي أقامت زواياها للعبادة ولإيواء الوافدين المحتاجين للمأوى والطعام, وللاعتكاف عن مباهج الدنيا وزينتها. وتعتبر الصوفية جزء من قواعد متعلقة بالرياضة الروحية[٢]. حيث تحدثت المصادر التاريخية عن توافد شخصيات مشهود لها بالتقوى والورع والزهد إلى بلاد الهوسا, ما مكنهم من القيام بدورهم الدعوي بكفاءة, وفضلوا سكنى القرى والنجوع , ومارسوا نشاطهم في الليل وتكيفوا مع بيئة المجتمعات السكان المحليين وعاداتها وتقاليدها وكانت الطقوس واستعمال الدفوف والطبول في حلقات الذكر قد وجدت قبولا لدى الأفريقيين, لأنها تخلط بين العبادة والحركات الراقصة, ولم يتوقف نشاطهم على التلقين الأدوار بل تخطاه إلى التعليم واعتباره عملاً أساسياً في دائرة نشاطهم الصوفي الدعوى, وصارت الزوايا بمثابة مراكز للذكر والصلاة جنبا إلى جنب مع الدراسة والتعليم كما صارت مصدراً للفتوى والتشريع وكانت تعقد منها جلسات القضاء المحلي بالإضافة إلى أن الزوايا لعبت دوراً هاماً في نشر العقيدة الإسلامية وتخليصها من البدع التي امتزجت بها[٣]. ولقد كان دور هذه الطرق الصوفية في هذه المناطق منصبا على نشر الإسلام بين القبائل الوثنية وكذلك تسعى نحو غرض واحد وهو الوصول بالإنسان إلى درجة الكمال, وفق ما يتناسب مع أفكار الشعوب البدائية كما أنهم لم يكن لديهم شروطاً تتعلق بالانخراط في سلك

---

(١) محمد بلو: مرجع سابق, ص١٢١.

(٢) قحام عمار, بن شعبان سلمى: الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية (ما بين القرنين ٩هـ-١٣هـ/ ١٥م-١٩م), رسالة ماجستير في التاريخ, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة ٨ ماي- قالمة, الجزائر, ٢٠١٧/٢٠١٦, ص١٤. , للمزيد أنظر, عبد القادر سيلا: المسلمون في السنغال معالم الحاضر وأفاق المستقبل, ط١, رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية, قطر, ١٤٠٦هـ, ص١٢٨.

(٣) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: الطرق الصوفية في القارة الإفريقية, ط١, دار الثقافة للنشر والتوزيع, القاهرة, ٢٠٠٤م, ص١١٥.

طريقتهم الخاصة بهم بل كان انخراطهم فيها عشوائياً[١], وكان التصوف الديني أحد الوسائل لتحقيق هذه الغاية, وكان نشاطهم لم يتوقف على تلقين الأوراد فقط بل كان لكل طريقة " ورد " خاص بها, بل تخطاه إلى اعتبار التعليم عملا اساسيا في دائرة نشاطهم, وكانت الزوايا بمثابة مراكز للذكر والصلاة بجانب الدراسة والتعليم, وكانت مصدرا للفتوى والتشريع تعقد فيها جلسات القضاء المحلي[٢], ولعبت الزوايا دورا هاما في نشر العقيدة الإسلامية وتنقيتها من البدع والشوائب التي امتزجت بها.

ومن أشهر هذه الطرق التي تسعى لذلك في القارة الإفريقية وامتدت إلى بلاد الهوسا هي:

القادرية والتيجانية والسنوسية, وهم أكثر الطرق انتشارا في المنطقة [٣].

وكان التعليم الصوفي يتم على مرحلتين: المرحلة الأولى/ وهي عبارة عن تعليم عام لمبادئ القراءة والكتابة والتفسير والحديث والفقه وبقية علوم الدين.

أما المرحلة الثانية / وهي تعليم صوفي حقيقي, ويتم على مستويين, يتلخص أولهما في نشر الطريقة بين الاتباع " والمريدين " بإشراكهم في حلقات الذكر وحفظ الأدوار ثم العهد ليصبحوا من أصحاب الطريق. أما المستوى الثاني فيهتم بإعداد الرواد الذين يتولون قيادة حلقات الذكر وأعضاء العهد نيابة عن القضب ,

ومن أولى الطرق الصوفية التي أدت دورا مميزا في نشر الإسلام والثقافة العربية هي الطريقة القادرية التي أسسها عبد القادر الجيلاني (١١١٦/١٠٧٩م) بالعراق. وأكثر معتنقي هذه الطريقة هم من الهوسا والفولانيين[٤], وتعتبر من بين أقرب الطرق الصوفية إلى مذهب السنة والجماعة, وقد انتشرت انتشارا واسعا في كل بلاد أفريقيا الغربية , وكان المسلمون الذين تربوا في مسلك نظام الصوفية التي كانت تقوم على حب الجار والتسامح يؤسسون

---

(١) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: مرجع سابق, ص ٢١٥-٢١٧. , محمد فاضل علي باري, سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا" تاريخ وحضارة", دار الكتب العلمية, بيروت, ١٩٧١م, ١٤٦. , مهدي آدامو: مرجع سابق, ص٢٧٣.

(٢) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي, الاسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن, ط٥, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ١٩٩٠م, ص٢١٠.

(٣) قحام عمار, بن شعبان سلمى: مرجع سابق, ص١٥. , أحمد شلبي: المرجع السابق, ص٢١٠.

(٤) سايبو, دجيبو: مرجع سابق, ص٢٨. , على بدوي سالمان: مرجع سابق, ص٦.؛

Cuoq Joseph M.; Les musulmans en Africa, Editions G.P., Maisonneuve et Larose, Paris 1975, P.196-197.

المدارس في بلاد الهوسا وينفقون عليها , حيث كان نشاطهم في الدعوة طابع إسلامي يعتمد على الإرشاد وأن يكونوا قدوة لغيرهم , وكانت دعوتهم إلى الإسلام أساسها الإقناع والحكمة والتأثير في المجتمعات الوثنية بطريقة سلمية لا مجال للعنف فيها(١).

وأياً كان الأمر, فقد ساهمت الطرق الصوفية بشكل واضح في نشر التعليم والثقافة العربية باللغة العربية, وكانت خير عون للمدارس القرآنية والمعاهد العلمية, ولا تزال الطرق الصوفية وغيرها تلعب دورها في تأكيد انتشار الثقافة الإسلامية العربية في بلاد الهوسا.

(١) عبد الله محمد بازينة: انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء, ط١, دار الكتب الوطنية, بنغازي- ليبيا, (د.ت) , ص ص٢٠-٢١. , عبدالله عبدالرازق: مرجع سابق, ص٢١٥-٢١٧.

المبحث الثالث " تأثير الإسلام في المجتمع الهوساوي.

لقد غير الإسلام في حياة شعب الهوسا تغيراً أكيداً, وكان التأثير والتفاعل يتم تدريجياً بين الثقافة المقيمة أو الأصلية والثقافة الوافدة من خارج المنطقة, تمثل هذا التغير في جملة من المتغيرات الهامة في مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة, مثل العادات والتقاليد, والاحتفال بالمناسبات الدينية, وتنوعت ما بين حياة اجتماعية عامة, واخري خاصة, اشتركت جميعها في تكوين ملامح الشخصية الهوساية, تشمل في ذلك الفرد, واسرته وما حوله من افراد القبيلة, والباحث قام بتقسيم الحياة الاجتماعية الي قسمين, احدهما عام يشمل في ذلك العادات الاجتماعية التي كانت تجمع افراد المجتمع الهوساى , والثاني يتمثل في الحياة الاجتماعية الخاصة بالفرد الهوساوي .

أ- الحياة الاجتماعية العامة:

كانت هناك مناسبات اجتماعية لدى أهل الهوسا ويهتمون بها، سواء كانت في شكل اعياد دينية أو احتفالات اجتماعية, ومن ابرز مظاهرها إحياء الاحتفالات الدينية بقدوم شهر رمضان المبارك, والاحتفال بعيدي الفطر والأضحى والمولد النبوي الشريف.

وهذا ما سيتم تناوله فيما يلي:

١- شهر رمضان المبارك:

بعد دخول الإسلام بلاد الهوسا, وخروجها من الوثنية, بدأت تبرز مظاهر حضارة إسلامية نتيجة الصلات المتبادلة بين إمارات الهوسا والبلدان المجاورة, وبالتالي توافرت صلات وفرص للتمازج بين المفاهيم والمعتقدات المختلفة, مما أتاح مناخاً للتفاعل بين التيارات الوافدة من مصر وبورنو وغيرها والثقافات المقيمة, الأمر الذي كان له نتائجه وانعكاساته الثقافية الإيجابية على الحياة الاجتماعية في بلاد الهوسا في القرن الثامن عشر الميلادي. ومن أبرز مظاهرها الإسلامية شهر رمضان المبارك.

بالنظر إلى أن شهر رمضان هو شهر عبادة, فقد كان الأهالي يأتون إلي ابواب المساجد قبل الغروب بالتمر, وقطع الخبز, والحساء, ويوزعون علي المحتاجين من الفقراء , وكان « قاضيها في شهر رمضان من كل عام علي عادتهم القديمة بصدقاته وهداياه ويفرقها عليهم واذا كانت ليله القدر يأمر بطبخ الطعام ثم يجعل المطبوخ في المائدة أي القدح الكبير ويحملها فوق رأسه وينادي قراء القرآن وصبيان المكتب ويأكلون وهم قائمون تعظيما لهم...»

[١]. وقبل قدوم شهر رمضان كان الساركن يحرص على قراءة القرآن من منتصف شهر شعبان حيث تذكر حوليات كانو بان الساركن ابو بكر كادو كان لديه سبعة أولاد وكان يحث كل فرد من أبنائه السبعة على قراءة القرآن صباحا قبل شروق الشمس, وبذلك يقومون بختم القرآن الكريم كله[٢]. أما أثناء رؤية هلال شهر رمضان المعظم, فإن العدول من الرجال يتجهون إلى المشور ليدلوا بشهادتهم ويهرع العلماء لكي يحضروا مع الأمير صلاة التراويح بعد صلاة العشاء, ولا تنتهي إلا بنهاية الشهر[٣].

٢- الاعياد (الفطر, والأضحى):

من المظاهر التي تؤكد التزام أهالي الهوسا بالعقيدة الإسلامية, احتفالهم بعيد الفطر المبارك, الذي يهل بعد نهاية شهر الصوم, وتبدأ الاحتفال بذلك العيد منذ الليلة السابقة له, حيث تم مراقبة الهلال, وبمجرد التأكد من رؤيته يقصد العدول من الرجال دار الأمير أو القاضي للإدلاء بشهادة رؤية الهلال, ويتم الإعلان عن رؤية هلال العيد بإطلاق طلقات من مدافع وضعت خصيصا لهذا الغرض, وبمجرد انتشار الخبر تتعالي الصيحات, وخاصة في المدن الكبيرة بالتكبير والتهليل ممزوجة بزغاريد النسوة تعبيرا عن الفرحة بمقدم عيد الفطر المبارك, ويتسارع الناس إلي الطرقات مصطحبين الاطفال الذين يحملون الفوانيس المضاءة في تجوالهم لشراء لوازم العيد من أطعمة وملابس وهدايا, او تعلق الفوانيس لتنير الطرقات طيلة ليالي العيد, وفي صباح يوم العيد ينطلق الرجال الي الساحات العامة لتأدية صلاة العيد, وبعد نهاية الصلاة يتصافح الجميع مهنئون بعضهم البعض بالعيد السعيد, وتقوم الأسر والأفراد بالتزاور والتصدق علي الفقراء والمساكين[٤] .

اما في عيد الأضحى فكانت المدافع تطلق من ابراج المدن الكبرى وذلك كما كان يحدث في جميع مدن المغرب, ويخرج الأمير على المصلى في موكبه الرسمي ممتطياً جواده وحوله رجال الدولة وقادة الجند وحملة الأعلام أصحاب الموسيقى , وتنحر ضحيتا العيد الخاصتان بالأمير والقاضي وتحملان إلى المدينة على ظهور الجياد السريعة, وتقام ألعاب

---

(١) مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص٣٧٨.

(٢) ثريا محمود عبد المحسن: مرجع سابق, ص١٩١.

(٣) مطير سعد غيث: مرجع سابق, ص٣٧٩.

(٤) المرجع نفسه, ص٣٧٨.؛ للمزيد من التفاصيل أنظر: محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي, دار الرشيد, بغداد, ١٩٨٢م, ص ص٦١٩-٦٢١.

الفروسية, وتصدح الموسيقى في الطرقات, ويخرج الناس لمشاهدة تلك الألعاب بملابسهم الجديدة [١].

وفي الاعياد يفد العمد والقضاة, والفرسان وافراد العائلة الملكية واتباعهم إلي المدن الكبرى في أبهي الحلل المزركشة بالذهب والفضة, ويتجمع هؤلاء في ساحة كبيرة خارج المدينة إلي ان يأتي الأمير, وبعد الاذان والتكبير للصلاة تبدأ الخطبة باللغة العربية وبعد الصلاة يتوجه الناس الي الساحة التي تقع أمام قصر الأمير لينظروا إلى قدوم موكبه وأبهته, حتى إذا وصل إلى القصر ألقى خطاباً ينصح الناس في الأمور التي تتعلق بدينهم ودنياهم, ثم ينصرف الناس بعد ذلك[٢].

٣- المولد النبوي الشريف:

تبدا الاحتفالات بذكر مولد النبي صلي الله علية وسلم من اليوم السابع والعشرين من شهر صفر في مساجد وزوايا الهوسا[٣] وكانت الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف تأخذ طابعا فرايدا وبخاصة في المدن الكبرى, حيث يخرجون ليلة المولد النبوي الشريف الي الشوارع يمدحون الرسول الكريم (صلي الله علية وسلم) بشكل جماعي, ويضربون الطبول ويزينون المساجد, ويخرج الناس رجالا ونساء ومعهم حرائزهم وايماؤهم يرتدون ابهي الملابس, وتقام حلقات المديح في الجوامع, والمساجد, والربط, والزوايا الصوفية, والساحات العامة, ويمكثون إلي الثلث الاخير من الليل[٤].

واحتفالات المولد النبوي الشريف مستمرة منذ فترة إمبراطورية مالي وسنغاي إلى يومنا هذا حيث تقرأ قصائد المولد والبردة وشيء من قصائد العشرينات إلى يوم العاشر من شهر ربيع الأول فتقام حفلات الاختتان بتوزيع الصدقات على المحتاجين وغير المحتاجين. وفي مساء اليوم الحادي عشر تقام حفلة في دار السلطان, وفي اليوم السابع عشر, ليلة الثامن عشر من شهر ربيع الأول تقام جولة ليلية حيث تقوم مجموعة من الأهالي بقراءة القصائد

---

(١) مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص٣٧٩-٣٨٠. ؛ مجهول: تذكرة النسيان, ص١٤٠.

(٢) منى محمد عادل سيد حسين: مرجع سابق, ص٥٢. ؛ للمزيد أنظر:
عبد الله عبد الرازق إبراهيم: الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا, مرجع سابق, ص٦٢١.

(٣) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص٢١٥.

(٤) مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص٣٨٠., كذلك أنظر, الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا في ما وراء الصحراء, ص ص٨٤-٨٥.

والمديح ويدورون حول المدينة مع وقوفهم في مواقع تاريخية ويستمر هكذا إلى أن يصلوا مسجد المدينة عند طلوع الفجر وفي داخل المسجد يجلس كبار العلماء والشيوخ لقراءة قصائد مدح النبي صلى (الله عليه وسلم), وقصيدة المولد من بعد صلاة الفجر إلى الضحى فتجرى عادة ذبح الخرفان للوليمة وبعد ذلك يرجع العلماء والشيوخ إلى قراءة قصائد المدح إلى الزوال ثم يختم بالصدقات والهدايا والدعوات بالخير والبركات والعفو والتسامح(١).

ب: الحياة الاجتماعية الخاصة:

كانت عادات وتقاليد المجتمع في افريقيا فيما وراء الصحراء خليطا من التقاليد القديمة , والمؤثرات التي نقلها المسلمون معهم الي تلك الديار. ولقد كانت العقيدة الإسلامية التي وصلت مبكراً إلى تلك المناطق من القوى الخارجية الهائلة الأثر في مجال التغير الاجتماعي في بلاد الهوسا. وظهرت هذه التأثيرات في مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة , مثل: العادات والتقاليد في طعامهم, وشرابهم , وبناء منازلهم وتأثيثها, والوفاة ومراسم الدفن, وفنونهم .

١- المأكل والمشرب:

تشتهر قبائل الهوسا بعدة مأكولات شعبية خاصة بطعامهم, وكانت من أشهر الوجبات المنتشرة (الشنكفة) والتي يدخل فيها الارز, وكذلك (الميه) وهي الملوخية, وهناك (اغشى) وهو المشوي من اللحم وكذلك (درموسو) وهو مجموعة من رؤوس الخراف المطبوخة , وأما المشروبات الشعبية التي يستعملونها هي (الفرا) وهي عجين مصنوع من الدخن و(التكطي) وهو مشروب من الاعشاب البرية يقدم في جميع المناسبات والاحتفالات, وكذلك عرق البلح وهو المشروب الشائع والذرة اكثر المنتجات في المأكل والمشروبات., حيث يشربون مشروبات مصنوعة من الذرة, وكذلك يتناولونها كغذاء وايضا لحوم الحوت ولحوم الابل(٢).

٢- الملبس :

شهدت الملابس تطورا ملموسا منذ بدايات اتصال مجتمع السودان الغربي بالحضارة الاسلامية , والتي يمكن تلمسها في بلاد الهوسا, حيث كان لباسهم عبارة عن عمائم بحنك, مثل العرب, ويتلثمون بلئام ابيض, وان قماشهم بياض من ثياب قطن يزرع عندهم, ومن الواضح

---

(١) الهادي المبروك الهادي: مرجع سابق, ص٢١٦. ؛ للمزيد أنظر, مجهول: تذكرة النسيان, نبذة عن مولد النبوي, نشره هوداس, باريس, ١٩٦٦, ص١٤٠-١٥٢.

(٢) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص٢١٩. , وأنظر, ك مادهو بانيكار: مرجع سابق, ص٤٨٦.

ان جميع مراحل عملية تصنيع الملابس من غزل ونسج وصبغ كانت تتم محليا في تلك المنطقة, وتظهر الشواهد التاريخية صحة الافتراض, أنه كانت توجد بيوت للخياطين, المسماة بالتند", وبكل واحدة من تلك البيوت شيخ, ورئيس معلم, وعنده من المتعلمين نحو خمسين, وعند بعضهم سبعين الي مائه(١). وأنهم يرتدون الكميصا (٢), ومنهم من يرتدي زيا شبيها بزي المغاربة.

أما عن لباس المرأة , فإنه يتكون من ثلاث قطع أولهما (الزنى) وهو ما يلف حول الجسم من أسفل, و(الريغاه) وهو ثوب تلبسه المرأة, و(أد يكو) وهو غطاء يوضع علي الرأس وهناك لباس يسمي (بباريغاه) وهو لباس العجائز والامهات, و(جلابيا) وهي الجلاليب وهناك لباس يسمي (منافاتا) وهو لباس أبيض تلبسه المرأة عندما كون حاملا, وهذا اللباس إعلان عن حملها تستعمله تسعة أشهر وبعد ذلك تنزعه(٣). وكذلك ظهرت المرأة تردي الملابس المطرزة الفضفاضة ذات الاكمام, وأزيائهن هي الإيزارات المقلقة, كما يتزين بأقراط من الذهب المعلقة من آذانهن, ذلك يتحلين بالخرز الذي يلاقى منهن كل تقدير وإعزاز, فهن يقمن بنظمه وربطه حول خصورهن كما انهم كانوا يتعاملون به وقد حرص المسلمون علي الظهور في لباس فضفاض وكان الناس يرتدون أحسن الملابس في أيام الأعياد والمناسبات الرسمية , كما اتخذوا الملابس التي تعمل علي ستر العورة ولبس اللباس المناسب, ولقد كان لباس الجلود منتشر بين عامة الشعب وخاصة في فصل الشتاء(٤).

وقد أدى الازدهار الاقتصادي الذي شهدته المنطقة منذ بدايات اتصال مجتمع الهوسا بالحضارة الإسلامية, كان سببا في تأنق الأهالي في ملابسهم, حيث ظهر لديهم الاهتمام

---

(١) مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص ص٣٧١-٣٧٤.

(٢) الكاميصا: تحريف للفظ القميص العربي ولبسه الرسول صلي الله علية وسلم, فعن ام سلمة رضي الله عنها قالت كان احب الثياب الي الرسول صلي الله علية وسلم القميص, رواه ابو داود والترمزي وصححه الالباني, وللمزيد انظر احمد درويش: دور المرأة السياسي والحضاري في دولة مالي وصنغي, رسالة ماجستير غير منشورة, معهد البحوث والدراسات الافريقية, جامعة القاهرة ٢٠٠٧م, ص١٣٦., وكذلك أنظر: الامين عوض الله : مرجع سابق ص٦٢.

(٣) الهادي المبروك الدالي: قبائل الهوسا, مرجع سابق, ص ص٢٠٥-٢٠٤. فكلما أزداد عدد قطع الملابس على المرأة كان دليلا على رفعة مكانتها, في المجتمع.

(٤) منى محمد عادل سيد: مرجع سابق, ص٥٦., للمزيد من التفاصيل أنظر؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي: حركة المد الإسلامية في غرب أفريقيا, القاهرة, ١٩٩٠م, ص ص١٧٢-١٧٣.

بصناعه الملابس من الاقمشة المحلية التي توفرت خاماتها المحلية بتوفر القطن, فضلا عن استجلابهم الملابس الحريرية والقطنية المطرزة ذات الألوان الزاهية من الخارج, وبالذات من الشمال الافريقي(١). فمن بين الاصناف التي كانوا يستوردونها الاقمشة الحريرية المطرزة الغالية الثمن, وهذه الاقمشة تستخدمها الطبقات العليا, وملابسها افضل كثير إذ يرتدي الفرد منها قميصا داخليا فوقه رداء أنيق من القطن , يتراوح طوله بين ست عشر وعشرين ياردة, ومزين بزخارف عند الوسط , ويغلوه لفاح طوله قرابه يارده, وعرضه شبران, ويحلي بشريط من المخرمات(٢).

ويصف (بانيكار) ملابس الحكام, انها عبارة عن ثوب مخطط باللونين الاخضر والابيض , وسروال فضفاض ذي إطار أرقط, ولونه شبيه بريش دجاج غنيا, ومطرز بحرير اخضر عند مقدمة الساقين, وفوقهما عباءة حمراء مطرزة في حين تلف حول طاقيته الحمراء عمامة غايه الأناقة بتقاطعها اللونان الأحمر والأبيض, وسيفه مدلي فوق كتفه الأيمن بمشابك سميكة من الحرير الأحمر – كزينه – بعدد هائل من الشراريب, ويمتطي جواداً ممتازاً, كما أسرف في تزين رأسه وعنقه بشراريب وأجراس كثيرة وأكياس جلديه صغيرة بها أحجبه وتعاويذ, ويبدو تحت السرج غطاء مكون من رقع مثلثه صغيرة من جميع ألوان قوس قزح.

وهناك تنوع أيضا في ملابس الرجال؛(فالريجا), هو قميص الرجال , وكانت توجد منه انواع كثيرة منها ؛ (الريجاساكي) ؛ ذا المربعات الصغيرة الزرقاء والبيضاء, وقميص (دجاجة غينيا), وهو باهظ التكلفة – نوعا ما – ويعادل النوع الجيد منه عشرين الف كوردي, وهذا بالإضافة الي ثوب الحرير المخطط , والجلابية الحمراء والبيضاء المطرزة بالحرير الأخضر(٣).

وبمرور الزمن وبعد ان اعتنقوا الاسلام ,اصبحوا يتأنقون في ملابسهم من اجل الصلاة وشرعوا يغتسلون يوميا, لان الشريعة تتطلب منهم الطهارة بل انهم قد اصبحوا يباهون مواطنيهم الوثنين بملابسهم البيضاء, ويتضح أثر الاسلام في ملبس النساء والرجال, وبذلك يختلفن عن الكفار.

---

(١) مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص٣٧١.

(٢) منى محمد عادل سيد حسين: مرجع سابق, ص٥٧., وكذلك أنظر, ك مادهو بانيكار: مرجع سابق, ص٤٨٤.

(٣) ك مادهو بانيكار: المرجع نفسه, ص ص٤٨٤– ٤٨٥.

٣- المسكن:

يرجع الفضل الأول إلى ظهور المدن الإسلامية خلال القرن ١٢هـ/ ١٨م في أفريقيا جنوب الصحراء حتى مشارف الغابات الاستوائية جنوبا, إلى العرب والمسلمون الذين وصلوا الي المنطقة, حاملون معهم الحضارة الزاهرة الي تلك الاماكن, وكان لهم النصيب الاوفر في التأثير في كل الفنون التي ظهرت في سماء تلك المنطقة, ولا سيما في العمارة التي تمثلت اول الامر في بناء المساجد بأشكالها الجذابة الراقية التي كان لها طابع القوة والرقي والفن والتي كانت ابداعا هندسيا فريدا ورائعا لم تشهده المنطقة من قبل, وذلك مما ساعد علي استقطاب المزيد من المريدين في الانتماء الي اصل هذه الحضارة الجديدة الباهرة (١).

وقد عرفت القرى لدى الهوسا باسم باتجاروا- Batagarawa , وهي عبارة عن أكواخ Huts مستديرة ومتجاورة - مثل الأغلبية العظمى لنمط البناء في بلاد السودان الغربي- والذي تم إعداده بواسطة مشاركة كل رجال القرية, وتغطي سطوحه دائما بالقش من أغصان الأشجار وجلود الحيوانات علي هيئة خيام في شكل هرمي, وذلك للتكيف مع المناخ الذي يسود تلك الارجاء, حيث هطول الامطار الغزيرة, ثم تطور البناء فصار بعضه من الطين, ومسقوف بالتبن وبعض الآخر مبني بالحجر المنحوت, ولكن جاء الاسلام فادخل البناء بالطوب الاحمر المحروق, وايضا من الحجارة وهو بناء الاغنياء والطبقة الراقية من علية القوم(٢).

وقد شمل ذلك التطوير العديد من المنازل وقصور الملوك والأمراء التي تم تشيدها في عدد من مدن المنطقة. وكذلك بيوت التجار, وهي بيوت كبيرة الحجم محاطه بالحدائق, وكانت حركة العمران منتشرة في كل من كانو وكاتسينا, وزاريا(٣).

---

(١) منى محمد عادل سيد حسين: مرجع سابق, ص٥٨., وللمزيد من التفاصيل أنظر,
يحي بو عزيز: تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن ١٦م إلى القرن٢٠م, ص ص١٦٣-١٧٥.

(٢) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: حركة المد الإسلامي في عرب أفريقيا, القاهرة, ١٩٩٠م, ص١٧٧. ,
مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص٣٧٤.؛ للمزيد من التفاصيل أنظر:
Polly Hill; Rural Hausa a Village and Setting, Cambridge (U.N.V), London, 1972, pp.10, 40.

(٣) منى محمد عادل سيد حسين: مرجع سابق, ص,٥٩. ؛
Polly Hill; op. cit., p.10-11.

وأمتد التأثير العمراني العربي الإسلامي الي المتاجر, وقام التجار العرب الذين سكنوا المنطقة بناء حوانيتهم علي الطريقة المغربية, حيث بنوا مخازن للبضاعة في اسفل دور السكن , وقلدهم الأهالي في ذلك, وعرف تخطيط المدن المتأثر بالنمط المعماري العربي الاسلامي في العصور الوسطي بانه كان لكل مدينة مسجدها الكبير الذي يجتمع فيه سكانها, وقد نظمت المدن الإسلامية من حيث تخطيطها لتلائم حياة الطوائف الاجتماعية وفقا لأغراض الاقتصادية, ومن ذلك بناء وتنظيم المخازن والمتاجر والحوانيت التي بنيت حول المسجد, والتي كانت تبيع المسابح, والعطور والكتب(١).

وتبني الأبنية حول المسجد ., لتقوم فيها اعمال التجارة والصناعة وتأتي في نهاية هذه الأبنية حوانيت الحدادين, وهو ما يميز مدن الهوسا الحائط الذي كان الأهالي يسورون به مدنهم وقراهم وتوقف بناء هذا الحائط الآن(٢).

أما عن البيت عند الهوسا يتكون من عده غرف مبنية من الطين ملصقة علي بعضها , وتحاط الغرف بسور طويل من الطين ايضا ويوجد مساحة وسط الغرف التي تعتبر ساحه البيت, واذا كان للرجل امرأتان بني لكل واحدة منهما حجرة, وكثيرا ما يبني الزوج لنفسه حجرة خاصة به, وفي العادة يكون الدخول محظورا في هذه الحجرة الا لمن اذن له.

ولكل مسكن مدخل خاص, ويبني عند المدخل حجرة لاستقبال الضيوف , وهناك اكثر من حجرة استقبال, وعلاوة علي استخدام هذه الحجر لاستقبال الضيوف الا انها تستخدم ليلا لينام فيها الاولاد الذكور(٣). اما عن التأثيث فقد اعتني اهالي منطقة افريقيا فيما وراء الصحراء , وخاصة حكامهم بتجميل بيوتهم وتزينها بالنقوش, وتأثيثها بالأقمشة المستوردة من المغرب.

ويزداد جمال البيت بارتياد المغاربة لمنطقة افريقيا فيما وراء الصحراء, حيث جاءوا بالمؤثرات المغربية والاندلسية , فكانوا يفرشون الارض , ويرفع الفرش قليلا عنها بواسطة الواح وكانت اغطية اللحف مطرزة , وقد يصنع صاحب البيت فوقها سجادا طويلا او جلد

---

(١) منى محمد عادل سيد حسين: مرجع سابق, ص٦٠. وللمزيد أنظر, نعيم قداح: مرجع سابق, ص١٤٥.

(٢) نعيم قداح: المرجع نفسه والصفحة.

(٣) منى محمد عادل سيد حسين: مرجع سابق, ص٦٠.؛ أنظر, نادية عبد الفتاح حسين: الحكاية الشعبية عند الهوسا في نيجيريا, رسالة ماجستير, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ٢٠٠٥م, ص١١٤.

احد الحيوانات , وغالبا ما كانت الحيطان مزينة, اما عند مدخل البيت فكانت تعلق حدوة حصان, او يرسم كف رجل أو يوضع خطان من القطران عند المدخل لاتقاء العين , وكانت التحف والاغطية المطرزة تستورد من المغرب غالبا(١).

٤- **الوفاة ومراسيم الدفن:** امتزجت مراسم الجنازة والدفن لدى قبائل الهوسا حيث أن بعضها لها علاقة متينة بالدين الإسلامي, وبعضها ليست من الإسلام في شيء, وبهذا حدث امتزاج بين ما أثبتته الشريعة الإسلامية وما اخترعته العادة(٢). ولا يخفى أن الوفاة تختلف عن الزواج والطلاق, وما الي ذلك من حيث انها تكون حالة اجبارية وليست اختيارية بالمعني الكافي لان الذي يحكمها هو القدر, فقد ينسب البعض في حدوث وفاة لاحد الاشخاص, ولكن لا يستطيع درء الوفاة او تأجيل حدوثها عندما يحن القدر. والوفاة ومراسيم الدفن في المجتمع الهوساوي, لها بعض الطقوس والعادات الاجتماعية التي تمارسها القبيلة, والتي اقرها المجتمع ذاته, بل ويفرض علي افراد المجتمع ممارسة هذه الطقوس, وفي حالة حدوث الوفاة, يقوم أهل المتوفي بإبلاغ الجيران والاقارب, وبعد ذلك يتولى أحد الذين هم علي دراية بما يحدث وفي مثل هده الحالات – تغسيل الميت Mamacig أوWanda yamutu ثم يكفن, ثم يصلي عليه, ثم يدفن في المقابر, ثم يذهب المشيعون الي بيت المتوفي, لتقديم العزاء لأهله, وفي اثناء تشيع الجنازة يذكر المشيعون الله جهرا حتي يصلوا الي المقابر, وبعد ان يدفن المتوفي يجلس الامام والمشيعون حول القبر, ويدعون له بالرحمة والمغفرة, ومن العبارات التي يقولها المواسون او المعزون لأهل المتوفي ما يلي :

'' Allah yaji kansa أو Allah ya Jikanrai , وتعنى ''رحمة الله , ويرد اهل المتوفي بقولهم , امين– Amin), وفي اليوم الثالث, والذي يسمي بيوم الصدقة (Ranar Sadaka) أو يوم الدعاء (Ranar Adduaa) يجتمع الناس أمام منزل المتوفي ويقودهم إمام الحي او البلد وخاصة الذي أم الناس في صلاة الجنازة, ويتوجهون الي الله بالدعاء للميت والأموات المسلمين اجمعين, كذلك يدعون لأهل البلدة بالخير, ثم يقومون بتوزيع الصدقات, وهي من مال أهل المتوفي علي جميع الحاضرين, حتى لو كانوا من اثرياء القوم. والاموال التي يتم توزيعها صدقة علي روح المتوفي قد يساهم فيها اصدقاء المتوفي واحباؤه, ويحدث كل هذا في مجلس الرجال, ومثلة في مجلس النساء الذي عادة يكون داخل البيت, وفي نفس اليوم (يوم

(١) منى محمد عادل سيد حسين: مرجع سابق, ص٦١.

(٢) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص٢٦٥.

الدعاء) (Ranar Adduaa) يتم توزيع الاطعمة علي الحاضرين, ومن الاطعمة (Gumba وهي نوع يصنع من الدخن, وألـــ Funkasa وتشبه البقلاوة, وألـــ Kosai وهي تشبه الطعمية, ثم توزيع ايضا على الحاضرات من النساء, كذلك الجيران. وأن ما حدث في اليوم الثالث يتكرر في اليوم السابع, ثم يتكرر في يوم الأربعين, ثم مرور السنة الأولى في نفس يوم الوفاة, ثم لا يتكرر بعد ذلك أبداً (١).

الميراث: بعد انتهاء مراسم الوفاة يتوجه أهل المتوفي الي معلم معروف في هذه المنطقة ليطلبوا منه ان يتولى بنفسه مسألة توزيع الميراث علي الورثة الشرعيين, فيبلغوه بكل ما يمتلك الميت من بيوت ومزارع, وأموال وغير ذلك, ثم بعد ذلك يخصص المعلم يوما خاصا لتقديم هذ الواجب ثم يبلغ الحاكم أو السلطان, أو شيخ القبيلة, ثم يعلن لجميع أقارب وأهالي الميت بهذا اليوم المحدد ليجتمعوا في مكان مخصص, أما في منزل الميت أو المسجد حيث يحضر شهود لهذه القسمة, بعد أن يتم استقطاع أي مبالغ مادية مستحقة في ذمة المتوفى قبل آخرين, والذي يتم وفقا لمقتضيات الشريعة الاسلامية, فان كان للمتوفي عقارا او ارضا زراعية او ثروة حيوانية ونقدية او غير ذلك يوزع هذا بين الورثة بما اوصت به الشريعة الاسلامية , ويكافأ المعلم بمبلغ حسب قدرة كل وارث ووارثة (٢).

---

(١) صبري إبراهيم علي سلامة: بعض معتقدات الهوسا وعاداتهم "دراسة في الأدب الهوساوي" مجلة الدراسات الإفريقية, العدد(٢١), معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ١٩٩٩م, ص ص١٠١-١٠٣.

(٢) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص٢٦٧., وأنظر, ماجدة فتحي رفاعة: مفهوم السلطة في المجتمعات الأفريقية مع التطبيق على قبائل الهوسا, فولاني واليوربا والأيبيو الموجودة في نيجيريا, رسالة ماجستير, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ١٩٩٥م, ص١١٤.

المبحث الرابع: الاحتفالات في المناسبات الخاصة والعامة:

١- حفلات الزواج :

أما يتعلق بالزواج عند الهوساويين له خطواته حيث توجد احتفالات خاصة بالخطبة, واخري بالزفاف؛ تعتبر الخطوبة Neman Aure, من المراحل التي يمر بها الزواج, وموجوده قبل الاسلام وبعده, وهي عادة متعارف عليها في جميع المجتمعات, وبالنسبة للشعوب الهوساوية تعتبر الخطوبة مهمة جدا, وجرت العادة في المجتمع الهوساوي أنه اذا راي شاب فتاة أعجبته وطلبها لنفسة عروسا, يخبر أهله أولاً بأمرها, ثم ينظرون جميعاً في شأنها بعد السؤال عنها وعن أهلها, فان اطمأنوا إليهم فإنهم يذهبون إلي بيت والد العروس ليطلبوا يدها منه, وفي حالة اتفاق الطرفين علي المصاهرة فيما بينهم يتوجه العريس إلى والد العروس مقدماً لعروسه هدية بسيطة, فتقبلها منة وهذا أمر جرت عليه العادة في المجتمع الهوساوى.

وقد تطول فتره الخطبة أو تقصر, وذلك حسب ظروف العريس وكذلك حسب ظروف أهل العروس. ولا يعرف المجتمع الهوساوي ما يسمي بـــ " شبكة العروس" فهذا نظام ليس موجوداً لديهم علي الإطلاق, ولكن يحل محلة هدايا أخري كالملابس بمختلف أنواعها , وليس هناك ما يمنع من أن يكون بين هذه الهدايا "حلى ذهبية ", او توضع هذه الثياب " الهدايا التي يقدمها العريس لعروسه " في سلة من البوص, وترسل إلى منزل العروس(١).

وفيما يتعلق بالأثاث, أو ما يعرف بجهاز العروسين , فإن هذا من اختصاصات العروس وأهلها ولا يساهم فيه الزوج بشيء, وذلك في مقابل أن يقوم العريس بأعداد مسكن الزوجية, وهناك بعض القبائل داخل المجتمع الهوساوي الأكبر يعرفون عندهم ما يسمي بالمهر ويحصلون من العريس علي المهر المتفق علية فيما بينهم في الوقت الذي, يتولى فيه أيضا العريس إعداد مسكن الزوجية, وفي هذا جاء :

Awasu wurare byayen,yayen sun karbi kudin aure. Sai su aika wa iyayen yaro cewar sun bs shi ita.

(١) صبري إبراهيم علي سلامة: مرجع سابق, ص ص٩٨-٩٩.

اي : " في بعض الاماكن اذا قبل اهل الفتاة " العروس" المهر فانهم يرسلون الي اهل الفتي " العريس " بالقبول" (١).

وبعد ذلك يتم التجهيز والاستعداد لعقد القران, ثم احتفالات الزفاف. ويمر الزواج عند الهوسا بخطوات تبدأ بتقديم المهر, ثم اقامة احتفالات صغيرة بالخطبة, بما يعني اتفاق اسرة كل من العروسين علي الارتباط, والذي تجري اثنائها اختبارات متبادلة بين الاسرتين , وكذلك يتم في فترة الخطوبة, ثم اخيرا الاحتفال بالزواج, وغالبا ما تتحكم في العادات المتعلقة بتحديد المهر عدة اعتبارات منها المركز الاجتماعي والمالي لكل من الراجل والمرأة, وقبل تقديم المهر يتم تقديم هدايا مختلفة تشكل اهمية كبيرة عند الهوسا فيما يتعلق بطقوس الزواج .

عقد القران– Dauren Aure , يبدأ الإعلان عن موعد عقد القران قبل عقدة بثلاثة أيام علي الأقل, ومن يتعذر إبلاغه فيتم إبلاغه, قبل الموعد يوم الاحتفال بحال من الأحوال, وقد يصل عدد المدعوون إلى ألفين, ولا يقل عن خمسين شخصاً بحال من الأحوال ويرجع ذلك الي الضجة الإعلامية التي قام بها العريس. ويجتمع المدعون في ساحة بالقرب من منزل العروس وينشدون الأغاني الجميلة التي تجذب لها القلوب, وتطرب لها الأسماع(٢).

وعند إجراء عملية عقد القران يطلب من الحاضرين الإنصات , ويتولى أحد الفقهاء أو الشيوخ من علماء الدين عملية العقد , وتكون بين العريس وبين وكيل العروس, وصيغة العقد علي النحو التالي:

يقول العريس أو طالب الزواج لوكيل العروس, زوجني ابنتك فلانة فيجيب وكيل العروس, زوجتك ابنتي فلانة. ثم يقول العريس ثانية قبلت زواج فلانة. وأنه من الملاحظ أن عقد القران يتم علي مذهب الامام مالك نتيجة لما حققه هذا المذهب من انتشار واسع في هذه البقعة من القارة الافريقية, ويلاحظ ان هذا العقد لا يدون في اوراق رسمية, أي ليس لدى مجتمع الهوسا ما يعرف بقسيمة الزواج(٣).

---

(١) المرجع نفسه والصفحة. , للمزيد أنظر, محمد نوفل: ألفاظ الحياة الاجتماعية في لغة الهوسا – دراسة دلالية لكتاب Zaman mutum da Sana, arsa, رسالة ماجستير(غير منشورة) جامعة القاهرة, مصر, ١٩٩٣, ص٩.

(٢) صبري إبراهيم علي سلامة: مرجع سابق, ص٩٩.

(٣) المرجع نفسه , ص١٠٠.

ونظرا لأن الزوجة هي التي تقوم في الغالب بإحضار الجهاز اللازم لعش الزوجية فإنه معروف سلفا أن كل ما في البيت هو ملك لها, وبالتالي ليست هناك مدعاه أو ضرورة إلى تسجيل هذا الجهاز في يعرف بـــ (قائمة جهاز الزوجية) كما هو متبع عند بعض الشعوب الأخرى(١). وبهذا فان البناء الاسرى في مجتمع الهوسا قد تأثر الي حد بعيد بتعاليم الاسلام ومبادئه , وبالطبع لا يمكن ان نتوقع ان القانون الإسلامي النموذجي هو الذي ساد, لكن لا شك في ان التغير الذي حدث كان كبيرا, والصراع بين القديم والجديد ظل مستمرا فترة غير قصيرة(٢).

حفل الزفاف, بعد أن يتفق الطرفان على تحديد موعد الزفاف وعادة ما يبدأ الفرح من يوم السبت الي يوم الجمعة, ففي اليوم الاول من الفرح ينقل العريس الي اعمامه والعروس الي اعمامها تغسل العروس من قبل العجائز, والعريس من قبل اعمامه الكبار, والتحمير يكون بالترتيب الاكبر فالأكبر, بان بقضي كل واحد منهم يوما كاملا , ويستمر هذا الي يوم الخميس موعد الزفاف والمقصد من وراء ذلك التحمير هو تغير لو البشرة الي الحمرة وان يصدر الجسم رائحه ذكية. وبعد اخر يوم في التحمير– وهو عاده يوم الثلاثاء أو الاربعاء – يقوم العريس وزملاؤه بالاجتماع واقامة الالعاب ويطلق عليها " العراسة " وفي يوم الأربعاء أو الخميس يتم فيه عقد الزواج, وعادة ما يكون في المسجد, وتوزع فيه المشروبات والشاي والحليب, وفي يوم الزفاف يأتي العريس الي العروس علي جواد أبيض لتزف علية, حيث تتزين له بشتي أصناف الحلي(٣).

وكانت هناك العديد من الأدوات والحلي التي تتزين بها العروس الهوساوية:

١- الخاتم. ويطلق علية زوبي (Zobe) ويلبس في الأصبع, ويصنع من الذهب أو الفضة أو الحديد, ويرصع في أعلاه بالأحجار.

٢- أسورة. يسمى مندوا (Manduwa) وهو عبارة عن أساورة تصنع من الذهب أو الفضة أو الحديد وتكون مستطيلة من أعلاها بها ثقوب مفتوحه من أسفل تتزين بها المرأة في يدها.

---

(١) نفسه والصفحة.

(٢) شوقي الجمل: مرجع سابق, ص١٥١.

(٣) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص٢٠٧.

٣- أقراط. يطلق عليها يانكوني(Yankunne) وتصنع من الذهب أو الفضة أو العقيق, وتلبس في الأذنيين.

٤- العقد. يسمى تسكيه(Tsakiya-Adamwuya) يصنع من الذهب أو الفضة أو نوع من الأحجار وتنظم بخيط أسود وتتزين بها المرأة في رقبتها.

٥- الخلخال. تسمى كوناداجى (Kwondaga) يصنع من الذهب أو الفضة ويلبس في اليد أو الرجل.

٦- التوكة. يعرف ماكيامين (Maki –Ami) يصنع من الحديد أو الذهب أو القضة ويشد به مؤخرة الشعر.

٧- المشط. يطلق عليه ماسهاسي (Mayha) (Masaeci) وهو عبارة عن مشط يصنع من الخشب ويزين بنقش تستخدمه المرأة في تصفيف شعرها.

٨- مشط أو فارق الرأس. يعرف تاسيكاته (Tasikita) يصنع من الحديد أو الخشب ويستخدم في فرق الشعر(١).

كما ان عادة الزواج في مجتمع بلاد الهوسا – كما هي المجتمعات غير المسلمة- قبيل خضوعها لمؤثرات الثقافة الإسلامية كانت تتسم بالفوضى, فلا يوجد تحديد لعدد الزوجات, بل إن المرأة الواحدة يجتمع عليها أكثر من رجل, كما كانوا يتناكحون بغير صداق. كان الزواج محصوراً داخل العشيرة الواحدة حفاظا علي تماسكهم, وكان الرجل في تلك المناطق يسمي باسم أمه, ثم باسم عائله أمه أو قبيلتها, وكانت الأم هي المسيطرة علي النظام العائلي. ومع دخول الإسلام صارت الكثير من العادات الاجتماعية, وخاصة نظام الزواج كان يسير وفقا للشريعة الإسلامية, وهذا بالطبع لا يعني التخلص النهائي من العادات القديمة في مجال الزواج ونظام الأسرة(٢). ونجد أيضا تعدد الزوجات لدى الهوسا, حيث يوجد في كل بيت متعدد الزوجات ربة بيت تسمى (وارجيدا (Wargida) وتعني الزوجة الأولى, وهي في الغالب تكون أبنة عم الزوج ويكون بيتها في الشمال, وبيت الزوجة الثانية إلى الجنوب بالنسبة لحوش

(١) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص ص٢٠٩-٢١٠.

(٢) مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص ص٣٦٨-٣٦٩ .

الأسرة, وتتمتع أقدم الزوجات بمركز خاص فلها الأشراف علي بقية الزوجات, وقد يعهد إليها الزوج بإدارة شئونه المالية, كما يحق لها استقبال ضيوف زوجها في غيابه(١).

ومن ثم صارت مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية واضحة في مجال عادات الزواج ونظام الأسرة, فقد تأثر مجتمع هوسا إلى حد كبير بضوابط الشرع الإسلامي في عدد الزوجات, وهذا تغير في نظام الأسرة والزواج, ووضع نظاماً عادلاً لتوزيع الثروة بين أفراد الأسرة جميعاً اذا مات أحد افرادها, بعد إن كان النظام المحلي يخص ابن الزوجة الأولى بالتركة كلها. وبهذا فان البناء الأسرى في مجتمع بلاد الهوسا قد تأثر إلى حد بعيد بتعاليم الإسلام ومبادئه, وبالطبع لا يمكن ان نتوقع ان القانون الإسلامي النموذجي هو الذي ساد, لكن لا شك في إن التغير الذي حدث كان كبيراً, والصراع بين القديم والجديد ظل مستمراً فترة غير قصيرة(٢).

٢- تسمية المولود وبلوغ سن الرشد:

الولادة–Haihuwar ؛ عندما تنتهي فترة الحمل وتمر بسلام, تتهيأ الحامل لوضع مولودها وعادة ما يتم ذلك علي يد القابلة أو الداية Ungozoma , وفي أحيان أخرى تتم الولادة علي يد الطبيب ليكيت , Likita وفي حالة إتمام عملية الولادة في المنزل تستقبل القابلة ungozoma المولود وتقوم بإجراء كل ما يلزم, حيث تقوم بتنظيفه بعد أن تقوم بقطع الحبل السريCibiyar

وبعد اتمام عملية الولادة تبتهج الأسرة فرحاً بقدوم صغيرهم, ويعدون أيضا للاحتفال بيوم (السبوع) أي اليوم السابع لولادة الطفل(٣). ويسمى هذا اليوم عند قبائل الهوسا بيوم (التسمية) أي (بالز أرسون) يعلن عن طريق شخص يطلق عليه (البراح) فيه اسم المولود الذي سيسمى به , ويدعون له الله بأن يطيل في عمره ويوسع له في رزقه , فيقولون Allah yaraya أحياه الله , فيردد أهله قائلين: آمين– Amin(٤). ويقدمون فيه أشهي الأطعمة والحلويات والتمر على الأحباب والمقربين والحاضرين, وفي بيت الوالدة يفد نساء الحي

---

(١) عبد الله عبد الرازق إبراهيم: الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا, مكتبة الأنجلو, القاهرة, ١٩٨٤م, ص٢٠٥.

(٢) شوقي الجمل: مرجع سابق, ص١٥٠. , للمزيد أنظر: مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق, ص٣٧٠.

(٣) صبري إبراهيم علي سلامة: مرجع سابق, ص ٩٣–٩٤.

(٤) صبري إبراهيم علي سلامة: نفس المرجع, ص٩٤. , الهادي المبروك الهادي: مرجع سابق, ص٢١٣.

للمباركة وتقديم الهدايا, وهي عبارة عن قمح وشعير ودخن وقماش وبعضهن تقدم مبلغا رمزيا من النقود, ويستمر الحفل إلى ساعة متأخرة من الليل, يغنون ويرقصون احتفالا بهذه المناسبة(١). وفي هذه المناسبة لا ينسى أهل الطفل أن يوجهوا الدعوة للقابلة التي تكون من أوائل الحاضرين .

ومن غرائب الأمور لدى المجتمع الهوساوى في هذه المناسبة – يوم السبوع – أن يأتي الحلاق بعد أن يحلق رأس الطفل, فيقوم بقطع جزء من " لسان المزمار" للطفل وذلك ظناً منهم بأن هذه العملية تجنب المولود مستقبلا أي ألم يمكن أن يحدث له, وذلك لأنهم يعتقدون أن هذا العضو " لسان الزمار" قد يطول مستقبلاً فيتسبب في إعاقة دخول الطعام إلى الجوف, أو يحدث احتكاكا ينشأ عنه حدوث التهاب يضر بحلق المولود أو شيئا من هذا القبيل(٢). وبعد أن يبلغ الطفل الأربعين يوماً من عمره, تبدأ عندها عملية الختان, فهناك من يقوم بعملها في هذا الوقت وهناك من يتأخر إلى أجل آخر.

أما عن الختان مازالت قبائل الهوسا تعتمد على الختان التقليدي حيث يدعى الحلاق (وتزام) إلى بيت الوالد ويقوم لعملية الختان وفي هذا اليوم يلبس الولد ثوبا أبيض مزينا وطاقية يوضع عليها الودع والخرز وقرن غزال تجنبا للعين. وتقام الولائم في دار الوالد ويحتفلون بهذه المناسبة بتلاوة القرآن الكريم في الجامع والبيت, ويأكل الناس في بيت الوالد ويقدمون له مبلغا رمزيا من النقود والحلوى, وعندما يطيب الطفل وشفاؤه من ألم الختان يخصص ولغسله وإلباسه ثوبا جميلا ثم يطاف به في بيوت جميع اقاربه وهم يقدمون له الهدايا التي تدل على أنه انتقل إلى حياة جديدة ويعتز هو بذلك. وعادة ما يكون الطفل مرتديا ملابس بيضاء وعلى صدره شتى أنواع التعاويذ وأحجبة وودع معطر بالعطور (٣).

٣- وسائل التسلية :

الغناء والموسيقي : يتسم النشاط الموسيقي في بلاد الهوسا اهمية كبيرة بوصفة عنصرا هاما من عناصر الثقافة, والتي يمكن تحديدها في استحضار الروح الجماعية لأحياء مناسبات مختلفة. فنحن أمام طقس جماعي يتمثل في طرق الأداء والأغاني الملحمية والأخرى بالغة

(١) الهادي المبروك الدالي: المرجع نفسه والصحفة.

(٢) صبري إبراهيم علي سلامة: مرجع سابق, ص٩٥ .

(٣) الهادي المبروك الهادي: نفسه, ص٢١٤.

الرقة, حيث يضاف إلى صوت الراوي أصوات طبول وآلات موسيقية , مما يؤدي في النهاية إلى استحواذ الراوي على أعمق أحاسيس المستمعين(١).

ويوجد عند قبائل الهوسا أنواعا من الأغاني تقال في مناسبات مختلفة, فهناك أغاني للتفاخر والاعتزاز بالنفس, وأغاني لتبادل التحيات, وكذلك كان هناك أغاني للرعاة, فمنها ما يؤديه موسيقيون محترفون بقصد الترفيه, ومنها يؤدى أثناء الولاء للزعيم, أو في موسم حصاد, أو الاحتفال بمولود, أو لسرد رواية تحكى قصة صيد, أو عن السير خلف القافلة التجارية فهي الأخرى يندرج عليها هذا النوع من الأغاني, خاصة أن الهوسا يمتهنون التجارة أكثر من غيرها, كذلك تقال عندما تلتقي النساء الشابات المتزوجات, يغنين أغاني يذكرن فيها مآثر وبطولات أزواجهن والغائبين عنهن(٢).

ولقد عاب الفولاني علي الهوسا غرامهم الشديد بالموسيقي, وعزفهم علي النقارة وغيرها من الآلات الموسيقية في المناسبات في حين إن المسلمين الحقيقين لا يقرعون الطبول إلا لاستدعاء الجيش, أو ستثارة الهمم, ومن آلاتهم الموسيقية الأكثر انتشارا القيثارة والناي الشبيه بالبوق والطبلة(٣), وكانت الطبول هي اهم الآلات المستخدمة في الطرب, وكانت منها الطبول الكبيرة, وهي خاصة بالحرس الملكي وكذلك عرفت الدفوف الكبيرة والصغيرة الشائعة الاستعمال(٤), فقبائل الهوسا يعتبرون الطبل رمز القوة السياسية, وشعار السيادة, ولا يقرع إلا في المناسبات, وأهمها تقليد منصب السلطان أو عند خروجه. كذلك أغانيهم تحمل مضامين, وتصحبها موسيقى, وتلميحات صريحة تشهر بأولئك الذين يتقاعسون عن أداء واجباتهم واحتجاجات قوية, ضد كل من طغى وتكبر, وصيحات تستنكر الظلم الاجتماعي, وهذا التصريح بالغ الأثر على الذي يعنيه فالمسيء حين يشهر بسيئاته في أغاني ينشرها المنشدون أمام الناس فهو عقاب رادع له(٥).

---

(١) روجرد أبراهامز: حكايات شعبية أفريقية, الجزء الأول, ترجمة عزت عامر, الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية, القاهرة, ٢٠١٠م, ص١١. لمزيد من التفاصيل أنظر: عبد الرحمن شلقم: إفريقيا القادمة " دراسة في الفن والأدب والتاريخ الإفريقي" اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام, إدارة الكتاب والنشر, الطبعة الأولى, ليبيا, ١٩٨٢م, ص ٤٩: ص٥٦, .

(٢) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص٢٢٧.

(٣) ك. مادهو بانيكار: مرجع سابق, ص٤٨٧.

(٤) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق, ص١٧٦.

(٥) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص٢٢٨.

وبذلك أدت الموسيقى دورا في المجال السياسي في الأغاني التي تمدح الزعماء وحتى الأدوات التي تستخدم لها معان ووظائف مثل الطبول حيث ترمز إلى القوة السياسية, لدرجة أنه لا يسمح باقتناء مثل هذه الطبول لغير عائلة الزعيم أو الملك وتظهر بوضوح الموسيقى في مجال النظم الاجتماعية في مراسم الميلاد والزواج والموت, كذلك من أبرز وظائفها نجد الأغاني وما يصاحبها من موسيقى ورقص وتندد بأولئك الذين يهملون واجباتهم وأخرى تستنكر حوادث الظلم الاجتماعي(١).

وترتبط هذه الأغاني من خلال طريقتها في الأداء بعدد من طرق التعبير منها الرقص وقرع الطبول. أنه تراث عظيم, يقوم على السمات المشتركة للكثير من المجموعات القبلية الذين يعيشون ببلاد الهوسا. حيث نجد ان الطبالون والمغنون هم نقلة الروايات الشفوية لعديد من المجتمعات ببلاد الهوسا, والاحداث التاريخية غالبا ما يحتفظ بها في شكل اغاني واحاديث تروي ابا عن جد, وكان الغناء يستمع إليه ويسرد في الاحتفالات, فضاربو الطبول يملكون الحرية الكاملة لارتجال أشكال مغايرة ولا يترتب عليهم ألا الالتزام بشرط واحد وهو المحافظة على طول الوقت المسموح به لشكلهم(٢) وهذا ما يعرف بتواريخ الطبول(٣).

ومن هنا نجد أن الغناء والموسيقى قيمة وظيفية من ناحيتين:

الأولى/ أنها تندمج اندماجا كاملا مع ضروب النشاط الأخرى في الحياة اليومية.

الثانية / أنها تمارسها أعداد كبيرة من الناس في المجتمع الهوساوي, ويستمتعون بها فالموسيقى نشاط يسهم فيه الجمهور إلى جانب الممارسين لها, ويكاد كل فرد يحسن الغناء ويمارسه فعلا(٤). وبالتالي كانت الأغاني والموسيقى ولا تزال الوسيلة الأولى لنقل المعلومات التاريخية للفئات غير المتعلمة من شعب هذه البلاد, حيث وظفت بشكل جيد عندما كانت الأغاني تستخدم في سرد الطقوس المقترنة بتقديم الضحايا لأرواح أولئك الذين انتقلوا إلى حياة العبودية(٥).

---

(١) سعاد على حسن شعبان: الانثروبولوجيا الثقافية لأفريقيا, معهد البحوث والدراسات الأفريقية, جامعة القاهرة, ٢٠٠٤م, ص١٣٥.

(٢) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص ٢٢٩.

(٣) امطير سعد غيث: مرجع سابق, ص ٣٨٢- ٣٨٤.

(٤) سعاد على حسن شعبان: مرجع سابق, ص ١٣٥.

(٥) الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق, ص ٢٢٩.؛ للمزيد أنظر: وليم باسكوم وملفيل هير سكوفتز: الثقافة الأفريقية, ترجمة عبد الملك الناشف, المكتبة العصرية, بيروت- لبنان, ١٩٦٦م, ص١٠٨.

وخلاصة القول: لا شك أن العقيدة الإسلامية التي وصلت مبكراً إلى- بلاد الهوسا- تلك المنطقة صارت مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية واضحة في كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية في إمارات الهوسا بشقيها العام والخاص, وبرزت مظاهرها في الاحتفال بالأعياد, وكذلك المناسبات القومية والدينية المختلفة, مثل استقبال شهر رمضان, والمولد النبوي, كذلك وضح مدى تأثيرها الإسلامي في المآكل والمشرب والملبس, والمسكن, وكذلك في المناسبات الخاصة لدي شعب الهوسا مثل, الزواج , والوفاة. وفن الغناء والموسيقي.

الخاتمة:

ومما سبق عرضه انتهت الدراسة إلى النتائج الأتية :

- بينت الدراسة لم تكن منطقة الصحراء الكبرى عامل فاصل بين شمالها وجنوبها, وإنما كانت محور الاتصالات بين كافة شعوبها, ومن ثم لعبت القبائل العربية الصحراوية والبربرية والصنهاجية وغيرها, دوراً هاماً في حركة التجارة ونشر الإسلام عبر الصحراء الكبرى, ومن القبائل الكبرى التي كان لها نصيب وافر في هذا المجال قبائل الهوسا أكبر التجمعات العرقية النيجيرية, وكانت لهم من الخبرة في معرفة مسالك الطرق والواحات عبر الصحراء, حيث كان التجار العرب وغيرهم يحملون بضائعهم وأفكارهم الحضارية الإسلامية عبر الصحراء الكبرى, فتلقفها منهم تجار الهوسا ونقلوها بدورهم إلى الممالك الأفريقية فيما وراء الصحراء, لخبراتهم الكبيرة في المعاملات التجارية في هذه المنطقة. فقد كانوا من أكثر الشعوب تحملاً لمشاق السفر وركوب الأخطار, وأصبحوا يسيطرون على تجارة طويلة في كل المنطقة الشمالية والشرقية لأفريقيا الغربية, ونمت تجارتهم في كل المراكز التجارية المهمة, على طول طرق التجارة الممتدة حتى مصر, واقتبست اللغة الهوساوية من اللغة العربية كلمات وأصبحت لغة التخاطب المشتركة في الأسواق بل في بلاد الهوسا. وأدى ذلك كله إلى تأثر الهوسا بالثقافة والحضارة الإسلامية, وشملت عادات وتقاليد إسلامية في حياتهم الخاصة والعامة, ومن ثم نقلها بدورهم إلى إخوانهم من المجموعات القبلية التي تقطن في المناطق الجنوبية بغربي إفريقيا. وأصبحت قبائل الهوسا التي تبنت الدعوة الإسلامية وحضارته الركيزة الأساسية لنشر الإسلام وثقافته بين هذه القبائل, بفضل موقعهم الجغرافي .

– بينت الدراسة أن الهوسا من حيث معناه فهو تعريف لغوي أكثر منه عرقياً, ومن ثم ليس هناك جنس يمكن أن يسمى جنس الهوسا, كما أن لغة الهوسا منتشرة على نطاق واسع في غربي إفريقيا, فهي لغة المعاملات التجارية والمالية.

– أوضحت الدراسة كانت جماعات الهوسا وثنية قبل اعتناقها الدين الإسلامي إلا أن ثبت وجود الإسلام في حالات ليست بكثير بين افراد من التجار وغيرهم , وأصبح الدين الإسلامي رسميا بعدما أعتنقه حكام البلاد وبالتالي القبائل واحدة تلو الأخرى , ابتداء من القرن الثالث والرابع عشر الميلادي , ولعل أهم ما يميز جماعات الهوسا ظاهرة أساسية , وهى لم يشكل هذا الجنس جماعة ذات أهداف سياسية واحدة بل كان ينقسم إلي عشائر وبطون كثيرة, شكلت نموذجاً واضحاً لتفاعل الدين الإسلامي مع هذه الجماعات بصورة تامة, وما أفرزه هذا التفاعل من مؤثرات في النواحي الثقافية والاجتماعية لدى جماعات الهوسا. وكعامل فاعل في تغير نمط الحياة الاجتماعية .

– بينت الدراسة أن الثقافة الأفريقية التقليدية المقيمة درجت على أن تنتقي ما يلائمها, وترفض مالا ينسجم معها أو تقوم بتعديله ,ولذا أصبحت عناصر الثقافة الإسلامية الوافدة بفضل قوته ومدى تلبيتها لمطالب الناس وحاجتهم الاجتماعية والروحية أكثر انتشاراً وتأثيراً في بلاد الهوسا بمنطقة السودان الغربي , غير أن التراث الأفريقي المحلي المقيم أو الأصلي لم يختف تماماً, بل ترك بعض المظاهر التي تدل عليه حتى سيادة التراث الإسلامي وثقافته في تلك البقاع, ولاسيما خلال القرن الثامن عشر الميلادي.

– أبرزت الدراسة أن نفوذ الإسلام قد أمتد إلى بلاد الهوسا منذ وقت ظهوره وانتشاره المعروف , مكتسياً طابعاً سلمياً وهادئاً ومتدرجاً, في ظل واقع اجتماعي , كان قد أتسم بالتعددية العرقية والانقسام ليس فقط على أسس عرقية ولغوية , بل سادت عادات وتقاليد وعقائد وثنية, شملت المجتمعات الزنجية معتمدة على السحر والشعوذة كسمة من سمات المجتمعات الأفريقية عامة , والمستوحاة من التراث الثقافي الأفريقي المحلي, غير أن سهولة طبيعة الإسلام المرنة مكنته من التأثير والتفاعل تدريجياً بين الثقافة المقيمة أو الأصلية والثقافة الإسلامية العربية الوافدة من خارج المنطقة. وغيرت من عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية الخاصة والعامة في المسكن والمآكل والمشرب وجميع المجالات الاجتماعية حيث صارت الثقافة الإسلامية طابعها.

خريطة رقم (١)
إمارات الهوسا في عام ١٧٨٠م

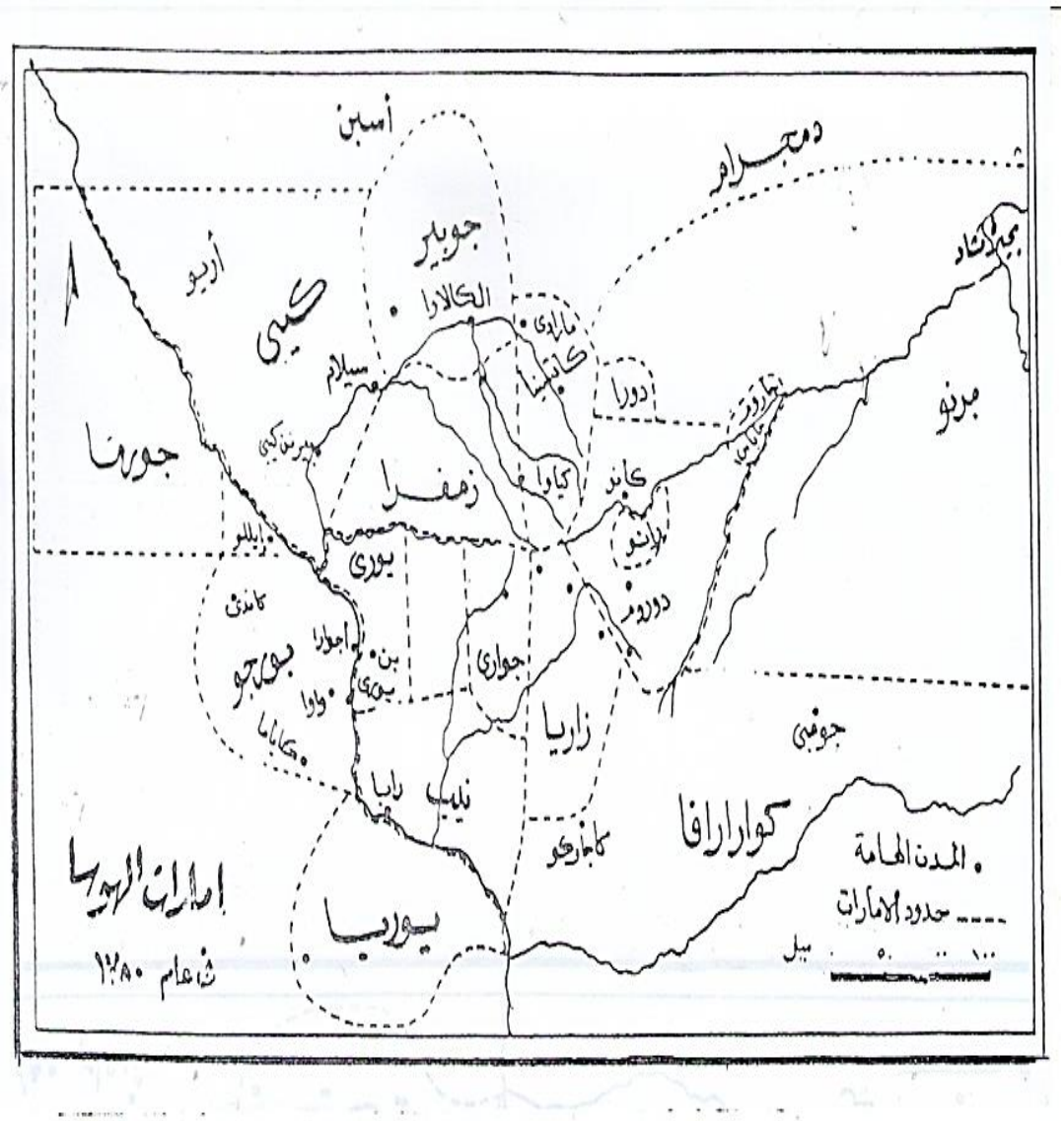

المصدر: الطيب عبدالرحيم محمد الفلاتي: الفلاتة في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية التنموية في السودان, ط١, دار الكتاب الحديث, الكويت, ١٩٩٤م, ص٣١٧.

خريطة رقم (٢)

حركة انتشار الإسلام في السودان الأوسط والغربي خلال القرن من الـــ ق. ٧م : ١٩م .

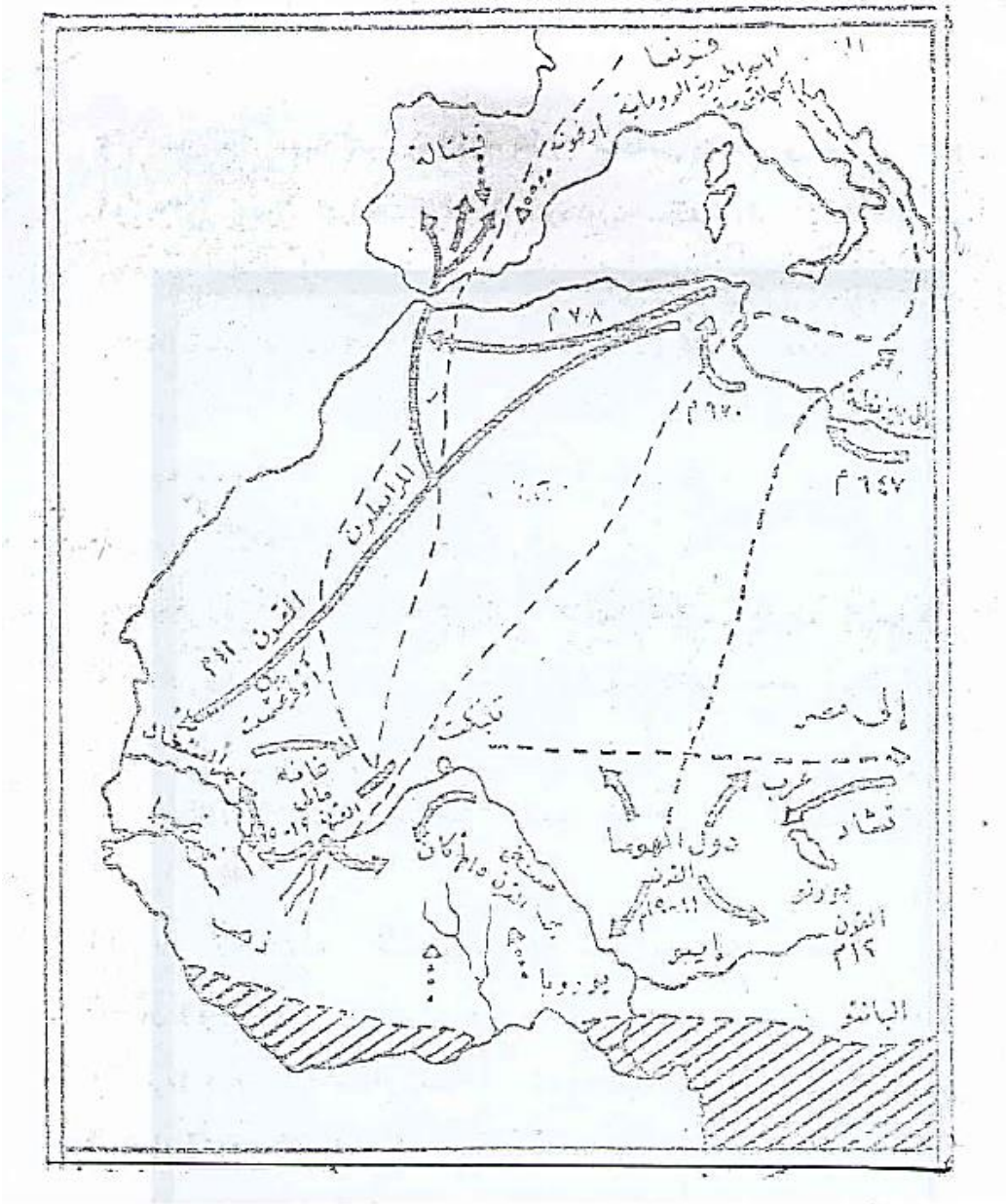

المصدر: الشيخ الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي, رسالة ماجستير, قسم تاريخ, كلية الآداب , جامعة القاهرة, ١٩٧٦م.. ص ٢٤٢.